نشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

المنار

سنة ١٣١٥

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما يذكر إلا أولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام: ان للاسلام صُوًى « ومناراً » كمنار الطريق

٣٠ رجب سنة ١٣٤٦ هـ ٢ برج الدلو سنة ١٣٠٧ هـ ش ٢٣ يناير سنة ١٩٢٨



(١٥) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفاً فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ (١٦) وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفاً لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزاً إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (١٧) فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى، وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَناً إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (١٨) ذَلِكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ الْكَافِرِينَ (١٩) إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ وَإِنْ تَنْتَهُوا فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَعُودُوا نَعُدْ وَلَنْ تُغْنِيَ عَنْكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئاً وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ

نبدأ بتفسير الالفاظ الغريبة في الآيات فنقول (الزحف) مصدر زحف اذا مشى على بطنه كالحية ، أو دب على مقعده كالصبي ، أو على ركبتيه ، قال امرؤ القيس :

فأقبلت زحفا على الركبتين فثوب لبست وثوب أجر

والمشي بثقل في الحركة واتصال وتقارب في الخطو كزحف الدبا (صغار الجراد قبل طيرانها) قال في الاساس : وزحف البعير وأزحف : أعيا حتى جر فرسنه وزحف الشيء ، جره جراً ضعيفا ، وزحف العسكر الى العدو : مشوا اليهم في ثقل لكثرتهم ، ولقوهم زحفا ، وتزاحف القوم وتزاحفوا ، وأزحف لنا بنو فلان صاروا زحفا لقتالنا . اه ملخصاً والزحف الجيش ويجمع على زحوف لخروجه عن معنى المصدرية . (والادبار) جمع دبر (بضمتين) وهو الخلف ومقابله القبل بوزنه وهو القدام ، ولذلك يكنى بهما عن السوأتين . وتولية الدبر والادبار عبارة عن الهزيمة لان المنهزم يجعل خصمه متوليا ومتوجها الى دبره ومؤخره ، وذلك أعون له على قتله اذا أدركه . والتحرف [illegible] من جانب الى آخر وأصله من الحرف وهو الطرف ، [illegible] أو معاناة الفعل المرة بعد المرة أو بالتدريج وفي معناه (التحيز) وهو التنقل من حيز الى آخر ، والحيّز المكان ، ومادته الواو ، فالحوز المكان يبنى حوله حائط ، قال في الاساس: انحاز عن القوم : اعتزلهم ، وانحاز اليهم وتحيز انضم . وذكر جملة الآية (والفئة) الطائفة من الناس (والمأوى) الملجأ الذي يأوي اليه الانسان وينضم و (موهن) الشيء مضعفه اسم فاعل من أوهنه أي أضعفه ومثله وهنه وهنا ووهنه توهينا . و (الكيد) التدبير الذي يقصد به غير ظاهره فتسوء غايته المكيد به كما تقدم في تفسير الآية ١٨٣ من سورة الاعراف . والاستفتاح طلب الفتح والفصل في الامر ، كالنصر في الحرب

والمعنى ﴿ يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا ﴾ أي اذا لقيتموهم حال كونهم زاحفين زحفا لقتالكم كما كانت الحال في غزوة بدر فان الكفار هم الذين زحفوا من مكة الى المدينة لقتال المؤمنين فلقوهم في بدر ﴿ فلا تولوهم الادبار ﴾

أي فلا تولوهم ظهوركم وأقفيتكم منهزمين منهم وان كانوا أكثر منكم عدداً وعدداً، واذا كان التزاحف من الفريقين أو كان الزحف من المؤمنين فتحريم الفرار والهزيمة أولى، ولفظ لقيتموهم زحفا يصلح للاحوال الثلاثة ورجح الاول هنا بقرينة الحال التي نزلت فيها الآية وكون النهي عن التولي والفرار انما يليق بالمزحوف عليه لانه مظنته، ويليه ما اذا كان التزاحف من الفريقين . وأما الزاحف المهاجم فليس مظنة للتولي والانهزام فيبدأ بالنهي عنه وهو منه أقبح (ومن يولهم يومئذ دبره) عبر بلفظ تولية الدبر في وعيد كل فرد كما عبر به في نهي الجماعة لتأكيد حرمة جريرة الفرار من الزحف وكون الفرد فيها كالجماعة وآثر هذا اللفظ مفرداً وجمعاً على لفظ الظهور والظهر أو القفا والاقفية زيادة في تشنيعها لانه لفظ يكنى به عن السوأة أي وكل من يولهم يومئذ تقويتهم دبره (إلا متحرفا لقتال) أي إلا متحرفا لمكان من أمكنة القتال رآه أحوج إلى القتال فيه [illegible] أو متحرفا لضرب من ضروبه رآه يلغ في النكاية بالعدو [illegible] لقرنه باتباعه فينفرد عن أشياعه فيكر عليه [illegible] الى فئة من المؤمنين في حيز غير الذي كان فيه [illegible] على العدو [illegible] عليهم ، فصاروا أحوج اليه ممن كان في حيزهم (فقد باء بغضب من الله) أي فقد رجع متلبسا بغضب عظيم من الله عليه (ومأواه جهنم وبئس المصير) ومأواه الذي يلجأ اليه في الآخرة جهنم دار العقاب وبئس المصير جهنم ، كان المنهزم أراد ان يأوي الى مكان يأمن فيه من الهلاك فعوقب على ذلك بجعل عاقبته التي يصير اليها دار الهلاك والعذاب الدائم أي جوزي بضد غرضه من معصية الفرار ، وقد تكرر في التنزيل التعبير عن جهنم والنار بالمأوى وهو إما من قبيل ما هنا وإما للتهكم المحض ، فانك إذا راجعت استعمال هذا الحرف في غير هذا المقام من التنزيل تجده لا يذكر الا في مقام النجاة من خوف أو شدة كقوله تعالى (إذ أوى الفتية الى الكهف) وقوله (أو آوي الى ركن شديد) وقوله (سآوي الى جبل يعصمني من الماء) وقوله (والذين آووا ونصروا) الخ

والآية تدل على أن الفرار من الزحف من كبائر المعاصي وقد جاء التصريح

بذلك في أحاديث أصحها عن أبي هريرة مرفوعا عند الشيخين «اجتنبوا السبع الموبقات» أي المهلكات، قالوا يا رسول الله وما هن؟ قال «الشرك بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق وأكل الربا وأكل مال اليتيم والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات» وقد قيد بعض العلماء هذا بما اذا كان الكفار لا يزيدون على ضعف المؤمنين، وعد بعضهم الآية منسوخة بقوله تعالى من هذه السورة (٦٦ الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا) الآية وستأتي. وهذا ظاهر على قول من يسمي التخصيص نسخا كالمتقدمين. قال الشافعي رحمه الله تعالى: اذا غزا المسلمون فلقوا ضعفهم من العدو حرم عليهم أن يولوا الا متحرفين لقتال أو متحيزين الى فئة. وان كان المشركون أكثر من ضعفهم لم أحب لهم أن يولوا ولا يستوجبون السخط عندي من الله لو ولوا عنهم على غير التحرف للقتال أو التحيز الى فئة، وروى هو وابن أبي شيبة عن ابن عباس قال من فر من ثلاثة لم يفر ومن فر من اثنين فقد فر

وقد روي عن عمر وابنه وابن عباس وأبي هريرة وأبي سعيد الخدري وأبي نضرة وعكرمة ونافع والحسن وقتادة ويزيد بن أبي حبيب والضحاك أن تحريم الفرار من الزحف في هذه الآية خاص بيوم بدر [illegible] تعالى (يومئذ) يراد به يوم بدر، ولكن هذا خلاف قاعدة العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، ويؤيده نزول الآية بعد انتهاء الغزوة، فانه ليس فيها ذكر «يوم بدر» وانما المراد بتنوين يومئذ مافهم من أول الآية أي يوم اذ تلقونهم زحفا كما تقدم فاليوم فيه بمعنى الوقت. وانما قد يتجه بناء التخصيص على قرينة الحال لو كانت الآية قد نزلت قبل اشتباك القتال - خلافا للجمهور - مع ما للغزوة بدر من الخصائص ككونها أول غزوة في الاسلام لو انهزم فيها المسلمون والنبي ﷺ فيهم لكانت الفتنة كبيرة، وتأييد المسلمين فيها بالملائكة يثبتونهم، ووعده تعالى بنصرهم وإلقاء الرعب في قلوب أعدائهم - فاذا نظرنا الى مجموع الخصائص وقرينة الحال في النهي أمكن كون التحريم المقرون بالوعيد الشديد الذي في الآية خاصا بها، أضف الى ذلك ان الله تعالى امتحن الصحابة (رض) بالتولي والادبار في القتال مرتين مع وجوده ﷺ معهم: يوم أحد وفيه يقول تعالى (٣: ١٥٥ ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان انما استزلهم الشيطان ببعض

ما كسبوا ولقد عفا الله عنهم ان الله غفور حليم) ويوم حنين وفيه يقول الله تعالى (٩:٢٥ لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين اذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الارض بما رحبت ثم وليتم مدبرين (٢٦ ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين) الخ وهذا لاينافي كون التولي حراما ومن الكبائر، ولا يقتضي أن يكون كل تول غير المستثنيين في آية الانفال يبوء صاحبه بغضب عظيم من الله ومأواه جهنم وبئس المصير. بل قد يكون دون ذلك ويتقيد بآية رخصة الضعف الآتية في هذه السورة وبالنهي عن القاء النفس في التهلكة من حيث عمومها كما تقدم في سورة البقرة وسيأتي تفصيله قريبا

وقد روى أحمد وأصحاب السنن الا النسائي من حديث ابن عمر قال : كنت في سرية من سرايا رسول الله ﷺ فحاص الناس حيصة [1] وكنت فيمن حاص ، فقلنا كيف نصنع وقد فررنا من الزحف وبؤنا بالغضب ؟ ثم قلنا لو دخلنا المدينة فبتنا ، ثم قلنا لو عرضنا أنفسنا على رسول الله ﷺ فان كان لنا توبة والا ذهبنا . فأتيناه قبل صلاة الغداة [2] فخرج فقال « من القوم » ؟ فقلنا نحن الفرارون . قال « بل أنتم العكارون [3] أنا فئتكم وفئة المسلمين » قال فأتيناه حتى قبلنا يده . ولفظ أبي داود : فقلنا ندخل المدينة فنبيت فيها لنذهب ولا يرانا أحد ، فدخلنا فقلنا لو عرضنا أنفسنا على رسول الله ﷺ فان كانت لنا توبة أقمنا وإن كان غير ذلك ذهبنا ، فجلسنا لرسول الله ﷺ قبل صلاة الفجر فلما خرج قمنا اليه فقلنا نحن الفرارون الخ، تأول بعضهم هذا الحديث بتوسع في معنى التحيز إلى فئة لا يبقى معه للوعيد معنى ولا للفئة حكم ، وقد قال الترمذي فيه : حسن لا نعرفه الا من حديث يزيد بن أبي زياد. أقول وهو مختلف فيه ضعفه الكثيرون، وقال ابن حبان كان صدوقا الا أنه لما كبر ساء حفظه وتغير فوقعت المناكير في حديثه فمن سمع منه قبل التغير صحيح . وجملة القول أن هذا الحديث لا وزن له في هذه المسألة لامتنا ولا سندا ، وفي معناه أثر عن عمر هو دونه فلا يوضع في ميزان هذه المسألة

(١) حاص عن الشيء حاد وهرب (٢) أي الصبح (٣) العكار كالعطاف والكرار لفظا ومعنى

وأما قوله ﴿ فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم ﴾ فهو وصل للنهي عن التولي بما هو حجة على جدارتهم بالانتهاء، فان كانت الآية التي قبله قد نزلت بعد انتهاء القتال في غزوة بدر كسائر السورة كما عليه الجمهور فوجه الوصل بالفاء ظاهر جلي، كأنه يقول يا أيها المؤمنون لا تولوا الكفار ظهوركم في القتال أبدا، فأنتم أولى منهم بالثبات والصبر، لنصر الله تعالى، فما أنتم أولاء قد انتصرتم عليهم على قلة عددكم وعددكم وكثرتهم واستعدادهم، وانما ذلك بتأييد الله تعالى لكم، وربطه على قلوبكم وتثبيت أقدامكم، فلم تقتلوهم ذلك القتل الذريع بمحض قوتكم واستعدادكم المادي ولكن الله قتلهم بأيديكم بما كان من تثبيت قلوبكم بمخالطة الملائكة وملابستها لأرواحكم، وبالقائه الرعب في قلوبهم، فهو بمعنى قوله عز وجل (٩: ١٤ قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم) الآية، والمؤمن أجدر بالصبر الذي هو الركن الأعظم للنصر من الكافر، لأنه أقل حرصا على متاع الدنيا، وأعظم رجاء بالله والدار الآخرة كما قال تعالى (ولا تهنوا في ابتغاء القوم، ان تكونوا تألمون فانهم يألمون كما تألمون، وترجون من الله ما لا يرجون) وقال حكاية عن المؤمنين بهذا الرجاء، على الخائفين من كثرة الاعداء (كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين)

ثم التفت عن خطاب المؤمنين المقاتلين بأيديهم، والمجتلدين لصناديد المشركين بسيوفهم، الى خطاب قائدهم وهو الرسول المؤيد منه تعالى بالآيات (ص) ومنها أنه رمى المشركين يومئذ بقبضة من التراب قائلا «شاهت الوجوه» فأعقبت رميته هزيمتهم، روي عن أبي معشر المدني عن محمد بن قيس ومحمد بن كعب القرظي بالمعنى وروى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ان النبي (ص) لما قال في استغاثته يوم بدر «يارب إن تهلك هذه العصابة فلن تعبد في الارض أبدا» قال له جبريل: خذ قبضة من التراب فارم بها في وجوههم – ففعل فما من أحد من المشركين إلا أصاب عينيه ومنخريه وفمه تراب من تلك القبضة فولوا مدبرين. وروى السدي انه (ص) طلب من علي أن يعطيه حصيا من الارض فناوله حصيا عليه تراب فرماهم به الخ. وعن عروة ومجاهد وعكرمة وقتادة أيضا أن الآية في رميه (ص) في بدر. فاذا لم تكن رواية من هذه الروايات وصلت الى درجة الصحيح فمجموعها

مع القرينة حجة على ذلك . وروي مثل هذه الرمية في غزوة حنين لحمل الآية بعضهم على ذلك وهو شاذ وحملها بعضهم على رميه لأمية بن خلف بالحربة يوم أحد وهو مقنع بالحديد فقتله وهو شاذ أيضا فالآية بل السورة نزلت في غزوة بدر . والمعنى ﴿ وما رميت إذ رميت ﴾ أي وما رميت أيها الرسول أحداً من أولئك المشركين في الوقت الذي رميت فيه تلك القبضة من التراب بإلقائها في الهواء فأصابت وجوههم فان ما أوتيته كأمثالك من البشر من استطاعة على الرمي لا يبلغ هذا التأثير الذي هو فوق الاسباب الممنوحة لهم ﴿ ولكن الله رمى ﴾ وجوههم كلهم بما أوصل التراب الذي ألقيته في الهواء اليها مع قلته، أو بعد تكثيره بمحض قدرته ، وحذف مفعول الرمي للدلالة على عمومه في كل من الاثبات والنفي كما قدرنا فيهما وفاقا لما تقرر في علم المعاني . وقد علم من هذا التفسير المتبادر من اللفظ بغير تكلف وجه الفرق بين قتل المؤمنين الكفار الذي هو فعل من أفعالهم المنظورة لهم بحسب سنن الله في الاسباب [illegible] بالتراب الذي ليس بسبب اشكاة أعينهم وشوهة وجوههم [illegible] راميه وكونهم غير مستقلين كلهم له ، ولأجل هذا الفرق ذكر مفعول القتل مثبتا ومنفيا — وهو ضمير المشركين فنفى المحسوس مطلقا وأثبت المعقول مطلقا لعدم تعارضهما فالمراد من كل منهما ظاهر بغير شبهة ، ولو أثبت لهم القتل مع نفيه عنهم لكان تناقضا ظاهراً يخفى جعل المثبت فيه غير المنفي . وقتلهم لهم مشاهد لا يحتاج الى اثبات من حيث كان سبباً ناقصا ، وانما الحاجة الى بيان نقصه وعدم استقلاله بالسببية ، ثم بيان ما لولاه لم يكن وهو اعانة الله ونصره .

وأما رمي النبي (ص) لوجوه القوم فلم يكن سبباً لاصابتهم وهزيمتهم لا مشاهداً كضرب أصحابه لأعناق المشركين ولا غير مشاهد ، والجمع بين نفيه واثباته لا يوهم التناقض العلم بعدم السببية ولم يذكر مفعول الرمي بأن يقال « وما رميت وجوههم » إذ لا شبهة هنا في عدم استطاعة النبي ﷺ لهذا استقلالا بكسبه العادي ، وأما هنالك فالظاهر أن القتل من كسبهم الاستقلالي . والحقيقة أنه لولا تأييد الله تعالى ونصره بما تقدم بيانه لما وصل كسبهم المحض إلى

هذا القتل ، وقد علمنا ما كان من خوفهم وكراهتهم للقتال ومجادلة النبي ﷺ فيه (كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون) فلو ظلوا على هذه الحالة المعنوية مع قلتهم وضعفهم لكان مقتضى الاسباب أن يحقهم المشركون محقا .

وأما الفرق بين فعله تعالى في القتل وفعله في الرمي فالاول عبارة عن تسخيره تعالى لهم أسباب القتل التي تقدم بيانها كما هو الشأن في جميع كسب البشر وأعمالهم الاختيارية من كونها لا تستقل في حصول غاياتها الا بفعل الله وتسخيره لهم والاسباب التي لا يصل اليها كسبهم ، كقوله تعالى (أفرأيتم ما تحرثون * أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون؟ لو نشاء لجعلناه حطاما) الخ فالانسان يحرث الارض ويلقي فيها البزر ولكنه لا يملك انزال المطر ولا إنبات الحب وتغذيته بالتراب المختلف العناصر ، ولا دفع الجوائح عنه . ولا يستقل بإيجاد الزرع وبلوغ ثمرته صلاحها بكسبه وحده .
وأما الثاني فهو من فعله تعالى وحده بدون كسب عادي للنبي ﷺ في تأثيره فالرمي منه كان صوريا لتظهر الآية على يده صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله فمثله في ذلك كمثل أخيه موسى عليه السلام في إلقائه العصا (فإذا هي حية تسعى) فخاف منها أولا كما ورد في سورتي طه والنمل .

هذا ما يدل عليه نظم الكلام بلا تكلف ولا حمل على المذاهب والآراء الحادثة من كلامية وتصوفية وغيرها ، فالجبري يحتج بها على سلب الاختيار وكون الانسان كالريشة في الهواء ، والاتحادي يحتج بها على وحدة الوجود ، وكون العبد هو الرب المعبود ، والاشعري يحتج بها على الجمع بين كسب العبد وخلق الرب باسناد الرمي إلى النبي ﷺ وإلى الخالق عز وجل . وهو يغني عن إسناد القتل إلى المؤمنين بالاولى ، والقرآن فوق المذاهب وقبلها ، غني بفصاحته وبلاغته عن هذه التأويلات كلها (كل حزب بما لديهم فرحون) وكلام الله فوق ما يظنون .

وأما موقع الفاء في أول الآية على القول بأن الآية السابقة عليها نزلت قبل القتال تحريضا عليه فقد قيل إنها واقعة في جواب شرط مقدر واختلفوا في تقديره وقال بعضهم بل هي لمجرد ربط الجمل بعضها ببعض ، وقد يقال إنه لا مانع من نزولها بعد المعركة ووصلها بما قبلها للدلالة على ما ذكرنا من التعليل والاحتجاج

على مشروعية النهي عن الهزيمة. وأولى منه أن يستدل بها على نزول ما قبلها في ضمن السورة بعد المعركة.

وأما قوله تعالى (وليبلي المؤمنين منه بلاء حسنا) فهو معطوف على تعليل مستفاد مما قبله ، أي انه فعل ما ذكر لاقامة حجته وتأييد رسوله (وليبلي المؤمنين منه بلاء حسنا) بالنصر والغنيمة وحسن السمعة

والبلاء الاختبار بالحسن أو بالسيء ، كما قال تعالى في بني اسرائيل (وبلوناهم بالحسنات والسيئات) وتقدم بيانه بالتفصيل . وختم الآية بقوله ﴿ إن الله سميع عليم ﴾ وهو تعليل مستأنف للبلاء الحسن والمراد أنه تعالى سميع لما كان من استغاثة المؤمنين مع الرسول ربهم ودعائهم اياه وحده ، عليم بصدقهم واخلاصهم وبما يترتب على استجابته لهم من تأييد الحق الذي هم عليه وخذلان الشرك كما أنه سميع لكل نداء وكلام ، عليم بالنيات الباعثة عليه ، والعواقب التي تنشأ عنه ، وبكل شيء.

ولما كان من سنة القرآن المقابلة بين الأعمال ومقتضيات أهل كل منهما وجزائهما عليهما قال (ذلكم وأن الله موهن كيد الكافرين) أي الأمر في المؤمنين وفائدتهم مما تقدم هو ذلكم الذي سمعتم ، ويضاف اليه تعليل آخر وهو أن الله تعالى موهن كيد الكافرين ، أي مضعف كيدهم ومكرهم بالنبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ومحاولتهم القضاء على دعوة التوحيد والاصلاح قبل أن تقوى وتشتد ، قرأ ابن كثير ونافع وأبو بكر (موهن) بتشديد الهاء والتنوين ونصب (كيد) والتشديد للمبالغة في الوهن . وقرأ حفص عن عاصم بالتخفيف والاضافة والباقون بالتخفيف والنصب

وقد صرح التنزيل بجزاء الفريقين في تعليل آخر في عاقبة الحرب ، قال في سياق غزوة أحد من سورة آل عمران (٣ : ١٤٠ إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الايام نداولها بين الناس - وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين (١٤١ وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين)

﴿إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح﴾ قيل ان الخطاب للكفار ذكر اضعافهم ثم التفت عنه الى تذكيرهم وتوبيخهم على استنصارهم إياه على رسوله (ص)

ذكر محمد بن اسحاق وعروة عن الزهري عن عبدالله بن ثعلبة بن صعير أن أبا جهل قال يوم بدر: اللهم أينا كان أقطع للرحم وآتى بما لا يعرف فأحنه الغداة. فكان ذلك استفتاحا منه. رواه عنه أحمد ورواه النسائي في التفسير والحاكم في المستدرك عن الزهري، وروي مثله عن ابن عباس ومجاهد والضحاك وقتادة وغيرهم. وقال السدي كان المشركون حين خرجوا من مكة الى بدر أخذوا بأستار الكعبة فاستنصروا الله وقالوا: اللهم انصر أعلى الجندين، وأكرم الفئتين، وخير القبيلتين، فقال الله (إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح) يقول قد نصرت ما قلتم وهو محمد ﷺ، وفي رواية أن أبا جهل قال حين التقى الجمعان: اللهم ربنا دينا القديم ودين محمد الحديث فأي الدينين كان أحب اليك وأرضى عندك فانصر أهله اليوم. فالفتح هو نصر النبي ودينه وأتباعه. وهذا [illegible] كه وأتنا بدينه ولم يكن أكثر أكابر [illegible] وحسد النبي ﷺ.

﴿وان تنتهوا فهو خير لكم﴾ أي وان تنتهوا عن عداوة النبي ﷺ وقتاله فالانتهاء خير لكم لانكم لا تكونون الا مغلوبين محاً، وأين كقوله (قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون الى جهنم وبئس المهاد) والخيرية في هذه الحالة بالاضافة الى الاستمرار على العدوان والقتال، ويحتمل أن يراد به الانتهاء عن الشرك فتكون الخيرية على حقيقتها وكمالها ﴿وان تعودوا نعد﴾ أي وإن تعودوا الى قتاله نعد لما رأيتم من الفتح له عليكم حتى يجيء الفتح الاعظم الذي يذل فيه شرككم، وتدول الدولة للمؤمنين عليكم ﴿ولن تغني عنكم فئتكم شيئا ولو كثرت﴾ أي ولن تدفع عنكم جماعتكم من المشركين شيئا من بأس الله وبطشه ولو كثرت عدداً فالكثرة لا تكون سببا للنصر، إلا إذا تساوت مع القلة في الثبات والصبر، والثقة بالله عز وجل ﴿وان الله مع المؤمنين﴾ بالمعونة والولاية والتوفيق فلا تضرهم قلتهم. قرأ نافع وابن عامر وحفص (وأن) بفتح الهمزة بتقدير اللام أي ولان الله مع المؤمنين

كان الامر ماذكره ، وقرأها الباقون بالكسر على الاستئناف

وقيل ان الخطاب في الآية المؤمنين كسابقه ولاحقه والمعنى : ان تستنصروا ربكم وتستغيثوه عند شعوركم بالضعف والقلة فقد جاءكم النصر وإن تنتهوا عن التكاسل في القتال والرغبة عما يأمر به الرسول ومجادلته في الحق بعد ماتبين فهو خير لكم . وإن تعودوا اليه نعد عليكم بالانكار أو تهييج العدو ، ولن تغني عنكم كثرتكم إذا لم يكن الله معكم بالنصر فيما نحن أولاء قد نصرناكم على قلتكم وضعفكم . هذا أقوى من كل مارأيناه في تصوير المعنى فأكثر ماقالوه ظاهر التكلف، ولولا السياق لكان المعنى الاول أرجح لانه أظهر

---

(٢٠) يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله ولا تولوا عنه وأنتم تسمعون (٢١) ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون (٢٢) إن شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون (٢٣) ولو علم الله فيهم خيرا لأسمعهم ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون

كانت السورة من أولها إلى هنا في قصة غزوة بدر الكبرى إلا انها افتتحت بعد براعة المطلع — وهو السؤال عن الغنائم — بالمقصد من الدين وهو الايمان وطاعة الله ورسوله ووصف الايمان الكامل ، وانتقل منها إلى مقدمات الغزوة وما كان من عناية الله فيها بالمؤمنين ، ثم انتقل هنا وفيما قبله إلى نداء المؤمنين المرة بعد المرة وتوجيه الأوامر والنواهي اليهم في مقاصد الاسلام والايمان والاحسان ـ ثم ينتقل من ذلك إلى شؤون الكفار مع المؤمنين وعداوتهم لهم وللرسول ﷺ وكيدهم له وعدوانهم عليه ، وفتنة المؤمنين به ـ ومنه إلى حكمة مشروعية قتالهم ، ثم يعود الكلام الى غزوة بدر وما كان فيها من حكم وسنن وأحكام وتشريع ، وهذا يدخل في أول الجزء العاشر وهو آية (٤١ واعلموا انما غنمتم من شيء) الخ

قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله) ذكرت هذه الطاعة في الآية الاولى من هذه السورة وأعيدت هنا ليعطف عليها قوله (ولا تولوا

عنه وأنتم تسمعون ﴾ أي ولا تتولوا وتعرضوا عن الرسول ﷺ والحال أنكم تسمعون منه كلام الله المصرح بوجوب طاعته وموالاته واتباعه ونصره، والمراد بالسماع هنا سماع الفهم والتصديق والاذعان الذي هو شأن المؤمنين الذين دأبهم أن يقولوا (سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا واليك المصير) والموصوفين بقوله عزوجل (فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الالباب)

ثم قرر هذا المعنى وبين مقابله بقوله ﴿ ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون ﴾ وهم فريقان (الاول) الكفار المعاندون (٤ : ٤٥ من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه ويقولون سمعنا وعصينا واسمع غير مسمع وراعنا — ليا بألسنتهم وطعنا في الدين — ولو أنهم قالوا سمعنا وأطعنا واسمع وانظرنا لكان خيراً لهم وأقوم ، ولكن لعنهم الله بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلا) وأمثالهم من الكفار المعاندين والمقلدين ، وورد فيهم آيات سيأتي بعضها (الثاني) المنافقون الذين قال تعالى في بعضهم (٤٧ : ١٦ ومنهم من يستمع إليك حتى إذا خرجوا من عندك قالوا للذين أوتوا العلم ماذا قال آنفا ؟) وتقدم في سورة الاعراف من صفات أهل النار في الدنيا (ولهم آذان لا يسمعون بها) مع آيات أخرى والمراد في هذا كله أنهم لا يسمعون سماع تفقه واعتبار يتبعه الاذعان والعمل

ثم علل الامر والنهي بقوله ﴿ إن شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون ﴾ الدواب جمع دابة وهو كل ما يدب على الأرض قال في سورة النور (٢٤: ٤٣ والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشي على بطنه ومنهم من يمشي على رجلين ومنهم من يمشي على أربع) الآية وقلما يستعمل هذا اللفظ في الانسان وحده وانما يغلب في الحشرات ودواب الركوب، فهو هنا يشعر بالاحتقار

والمعنى ان شر من يدب على الارض في حكم الله الحق هم الاشرار من البشر «الصم» الذين لا يلقون السمع لمعرفة الحق والاعتبار بالموعظة الحسنة فكانوا بفقد منفعة السمع كالذين فقدوا حاسته «البكم» الذين لا يقولون الحق، كأنهم فقدوا قوة

النطق ، « الذين لا يعقلون » أي فقدوا فضيلة العقل الذي يميز بين الحق والباطل ، ويفرق بين الخير والشر ، إذ لو عقلوا لطلبوا ، ولو طلبوا لسمعوا وميزوا ، ولو سمعوا لنطقوا وبينوا ، وتذكروا وذكروا ، كما قال تعالى (ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد) فهم لفقدهم منفعة العقل والسمع والنطق كالفاقدين لهذه المشاعر والقوى ، بأن خلقوا خداجا أو طرأت عليهم آفات ذهبت بمشاعرهم الظاهرة والباطنة ، بل هم شر من هؤلاء لان هذه المشاعر والقوى خلقت لهم فأفسدوها على أنفسهم لعدم استعمالها فيما خلقها الله تعالى لأجله في سن التمييز ثم التكليف ، فهم كما قال الشاعر :

خُلقوا وما خلقوا لمكرمة	فكأنهم خلقوا وما خلقوا
رُزقوا وما رزقوا سماح يد	فكأنهم رزقوا وما رزقوا

وإذا أردت فهم الآية فهما تفصيليا فارجع إلى تفسيرنا لقوله تعالى (١٧٩:٧ ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون) ولم يصفهم هنا بالعمى كما وصفهم في آية الاعراف وآيتي البقرة لأن المقام هنا مقام التعريض بالذين ردّوا دعوة الاسلام ، ولم يهتدوا بسماع آيات القرآن ،

(ولو علم الله فيهم خيراً لأسمعهم) أي ولو علم الله فيهم استعداداً للايمان والهدى بقية من نور الفطرة ، لم تطفئها مفاسد التربية وسوء القدوة ، لأسمعهم بتوفيقه وعنايته الكتاب والحكمة سماع تفقه وتدبر ، ولكنه علم انه لا خير فيهم لانهم ممن أحاطت بهم خطاياهم وختم على قلوبهم (ولو أسمعهم) وقد علم أن لا خير فيهم (لتولوا) عن القبول والاذعان لما فهموا (وهم معرضون) والحال أنهم معرضون من قبل ذلك بقلوبهم عن قبوله والعمل به – كما هو مدلول الجملة الحالية – كراهة وعناداً للداعي إليه ولا هله لا تولياً عارضا موقتا ، وفرق عظيم بين التولي العارض لصارف موقت وتولي الاعراض والكراهة الذي فقد صاحبه الاستعداد للحق وقبول الخير فقداً تاما . ومن اضطرب في فهم الجمع بين التولي والاعراض

قد جهل معنى الجملة الحالية الفارق بينها وبين الحال المفردة كما بينه الامام عبد القاهر في دلائل الاعجاز ، والآية نص في أنه تعالى لم يسمعهم أي لم يوفقهم للسماع النافع لان الباعث عليه هو ما في الفطرة من نور الحق المحبب النفس في الخير ، وقد فقدوا ذلك بافسادهم لفطرتهم ، واطفائهم لنور الاستعداد للحق والخير الذي يذكيه سماع الحكمة والموعظة الحسنة فصاروا عميا وصفهم في سورة المطففين المكية بقوله (٨٣ : ١٤ كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون) وقوله في سورة البقرة (٢:٨١ بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) ووصفهم فيها بقوله(صم بكم عمي فهم لا يرجعون) وضرب المثل لسماعهم بقوله في الآية الاخرى منها (٢:١٧١ ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع إلا دعاء ونداء ، صم بكم عمي فهم لا يعقلون) يعني أنهم كسارحة النعم تسمع صراخ الناعق فترفع رؤوسها ولكنها لا تفهم له معنى فاذا سكت عادت الى رعيها كما قال ابن دريد في مقصورته :

نحن ولا كفران لله كما قد [illegible] أعلى فارتعى

اذا أحس [illegible] عادى ولها

وقد أشرنا آنفا الى آيات أخرى في هذا المعنى تحثو التراب في فم من يزعم أن الآية تدل على الجبر وعدم اختيار العبد في كفره وإعراضه ، كما انها تسجل الجهل باللغة على من يزعم ان فيها إيهاما في النظم بجواز تقدير : ولو أسمعهم لعلمه بأن فيهم خيراً لتولوا وهم معرضون عن الايمان والهدى ، ونقول ان تقديره هذا هو الباطل فهو لا ينتج إلا باطلا ، إذ قد علم من قوله تعالى (ولو علم الله فيهم خيراً لأسمعهم) أنه علم أنه لا خير فيهم ، فكيف يقدر بعد ذلك ضده وهو أنه علم ان فيهم خيرا ؟ وعفا الله عمن صوروا الاشكال الوهمي بالاصطلاح المنطقي الفلسفي وأطالوا في الرد عليه من تلك الطرق الاصطلاحية الشاغلة عن كتاب الله تعالى

ألم يك خيراً لهم من هذه الحذلقة اللفظية الصارفة عن القرآن توجيه قلب سامعه لمحاسبة نفسه على هذا السماع ودرجة حظه منه ؟ فان السماع درجات باعتبار ما يطالبه الله تعالى به من الاهتداء بكتابه : أسفلها أن يتعمد من يتلى عليه القرآن أن لا يسمعه

مبارزة له بالعداوة من أول وهلة خوفا من سلطانه على القلوب أن يغلبهم عليها كالذين قال الله فيهم (٤١: ٢٦ وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون) ويليها من يستمع وهو لا ينوي أن يفهم ويعلم كالمنافقين المشار اليهم في آية سورة القتال (٤٧: ١٧) وذكرت في هذا السياق — ويليها من يستمع لأجل التماس شبهة للطعن والاعتراض ، كما كان يفعل المعاندون من المشركين وأهل الكتاب ، وكما يفعل في كل وقت مرتزقة دعاة النصرانية وغيرهم اذا استمعوا القرآن أو نظروا فيه — ويليها أن يسمع ليفهم ويعلم ثم يحكم للكلام أو عليه

وهذه الدرجات كلها لغير المؤمنين به والمنصف منهم الفريق الأخير وكم آمن منهم من تأمل وفهم ، نظر طبيب إفرنسي معاصر في ترجمة القرآن فرأى ان كل ما يتعلق بالطب والمحافظة على الصحة منه موافق لأحدث المسائل التي استقر عليها رأي الاطباء في هذا العصر ، فرغبه ذلك في تأمله كله فأسلم ... ونظر (مستر براون) وهو رجل بحري من الانكليز [illegible] الانكليزية له فاستقصى فيه الكلام عن البحار [illegible] من [illegible] الملاحين فسأل عنه فقيل له انه لم [illegible] ، ولا تلقى من أحد درساء (قال) فعلمت ان هذا كان بوحي من الله لانه حقائق لم يعلمها من اختباره بنفسه ، ولا بتلقيه عن غيره من المختبرين ، وقد أسلم وتعلم العربية رحمه الله تعالى

وأما المسلمون في هذه البلاد فأكثرهم اليوم يسمعون القاريء يتلو القرآن فلا يستمعون له ولا يشعرون بأنهم في حاجة الى سماعه ، وأكثر الذين يستمعون له وينصتون يقصدون بذلك التلذذ بتجويده وتوقيع التلاوة على قواعد النغمات ، ومنهم من يقصد سماعه التبرك فقط ، ومنهم من يحضر الحفاظ تلاوته عنده في ليالي رمضان لأن ذلك من شعائر أكابر الوجهاء ، وانما تكون التلاوة في حجرة البواب أو غيره من الخدم ، واذا سمعت بعض السامعين للتلاوة يقول : الله الله ، أو غير ذلك من كلمة مفردة أو مركبة أو صوت لا معنى له فانما ينطق به إعجابا بنغمة التالي ، حتى أنهم لينطقون عند سماعه ببعض الاصوات التي تخرج من أفواههم عند سماع الغناء دعيت مرة الى حفلة عرس فاذا أنا بقاريء يتلو بالنغم والتطريب وبعض

الحاضرين يهتز وينطق بتلك الحروف المعتادة في مجالس الغناء ويستعيدون بعض الجمل أو الآيات كما يستعيدون المغني على سواء ، وكان القارئ يتلو تلك الوصايا الصادعة من سورة الاسراء ، وما يتلوها من وصف القرآن وهدايته ومواعظه وتوبيخ المعرضين عنه كقوله تعالى (٤١:١٧ ولقد صرفنا في هذا القرآن ليذكروا وما يزيدهم إلا نفورا ـ الى قوله (٤٥ واذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا ٤٦ وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا ، واذا ذكرت ربك في القرآن وحده ولوا على أدبارهم نفورا ٤٧ نحن أعلم بما يستمعون به إذ يستمعون اليك وإذ هم نجوى إذ يقول الظالمون إن تتبعون إلا رجلا مسحورا)

فلما سمعت مكاء أولئك السفهاء وأصواتهم المنكرة عند سماع هذه الحكم الروائع ، والمواعظ الصوادع ، لم أملك نفسي أن صحت فيهم صيحة مزعجة ووقفت على الكرسي الذي كنت جالسا عليه ووبختهم توبيخا شديدا مبينا لهم ما يجب من الأدب والخشوع [والخشية عند سماع القرآن] ولاسيما أمثال هذه الآيات ، وتلوت عليهم قوله تعالى ([٥٩: ٢١ لو أنزلنا هذا القرآن على] جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون) فسكتوا وسكتوا إلا واحداً منهم أخذته العزة بالاثم ، ولكنه صار يتظاهر بأنه يهتز متخشعاً ، ويهمهم معتبراً متدبرا .

وليعلم القارئ ، ان فهم الكلام نفسه درجات فمن الناس من لا يفهم من الكلام إلا مدلولات الالفاظ على ما فيها من إجمال وإبهام ، بحسب ما تفسر به المفردات في معاجم اللغة ، أو مع المركبات بحسب قواعد النحو والبيان ، ككون لفظي الصم والبكم هنا من مجاز الاستعارة مثلا ، وهذا الفهم قاصر لا يتسع عقل صاحبه التدبر والتذكر المطلوب ، ومنهم من يكون فهمه تفصيلياً ينتقل من الكليات إلى الجزئيات ، ويعدو المفهومات الذهنية إلى الماصدقات ، ولكنه يجعلها بمعزل عن نفسه ، ويتصور الكلام كله لغيره وفي غيره ، بان يقول هذه الآية نزلت في الكافرين أو المنافقين ، لا في أمثالي من المؤمنين ، وإن كان متصفاً بما تنعى عنه وتتوعد عليه من صفاتهم وأعمالهم فصاحبها يصدق عليه بوجه ما انه من الذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون ،

وإنما الدرجة العليا للسماع أن تسمع فتفقه وتعقل وتدبر فتعتبر وتعمل، حتى لا تقول يوم القيامة (٦٧: ١٠ لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير)

---

(٢٤) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (٢٥) وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٢٦) وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ

يقال دعاه فأجابه واستجاب واستجاب له، وكثر المتعدي في التنزيل ويقول الراغب ان أصل الاستجابة التهيؤ والاستعداد للإجابة [illegible] أقول والاقرب الى الفهم قلب هذا وعكسه أي أن الاستجابة هي الاجابة بعناية واستعداد فتكون زيادة السين والتاء للمبالغة، وهو يقرب مما قالوه في معانيها من التكلف والتحري أو هو بعينه إلا أنه لا يعبر به فيما يسند إلى الله تعالى كقوله (فاستجاب لهم ربهم)

قوله (يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم) معناه اذا علمتم ما فرضنا عليكم من الطاعة، وشأن سماع التفقه من الهداية، وقد دعاكم الرسول بالتبليغ عن الله تعالى لما يحييكم، فاجيبوا الدعوة بعناية وهمة، وعزيمة وقوة، فهو كقوله تعالى (خذوا ما آتيناكم بقوة) والمراد بالحياة هنا حياة العلم بالله تعالى وسننه في خلقه، وأحكام شرعه، والحكمة والفضيلة والاعمال الصالحة التي تكمل بها الفطرة الانسانية في الدنيا وتستعد للحياة الابدية في الآخرة، وقيل المراد بالحياة هنا الجهاد في سبيل الله لانه سبب القوة والعزة والسلطان. والصواب ان الجهاد يدخل فيما ذكرنا وليس هو الحياة المطلوبة بل هو وسيلة لتحققها وسياج

لها بعد حصولها ، وقيل هي الايمان والاسلام، وانما يصح باعتبار ما كان يتجدد من الاحكام ، وثمرته في القلوب والاعمال ، وبما في الاستجابة من معنى المبالغة في الاجابة، وإلا فالخطاب للمؤمنين. وقيل هي القرآن ولا شك انه ينبوعها الاعظم، الهادي الى سبيلها الاقوم ، مع بيانه من سنة الرسول وهديه الذي أمرنا بان يكون لنا فيه أسوة حسنة ، ويدل عليه اقتران طاعته بطاعة الله تعالى ، بل قال بعض العلماء انه كان اذا دعا شخصاً وهو يصلي يجب عليه أن يترك الصلاة استجابة له وان الصلاة لا تبطل باجابته بل له أن يبني على ما كان صلى ويتم، واستدلوا على ذلك بحديث رواه البخاري عن سعيد بن المعلى قال : كنت أصلي في المسجد فدعاني رسول الله ﷺ فلم أجبه ـ أو قال فلم آته حتى صليت ثم أتيته ـ فقلت يارسول الله اني كنت أصلي ، فقال « ألم يقل الله (استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم) ؟ الحديث . وروى الترمذي والحاكم من حديث أبي هريرة انه ﷺ دعا أبي بن كعب وهو في الصلاة وذكر نحواً مما رواه البخاري عن أبي سعيد وصححه . وقال الحافظ في باب فضائل الفاتحة من الفتح عند ذكر فقه الحديث : وفيه ان الامر يقتضي الفور لانه (ص) عاتب الصحابي على تأخير اجابته، وفيه استعمال صيغة العموم في الاحوال كلها . قال الخطابي : فيه ان حكم لفظ العموم أن يجري على جميع مقتضاه وان الخاص والعام اذا تقابلا كان العام منزلا على الخاص ، لان الشارع حرم الكلام في الصلاة على العموم ثم استثنى منها اجابة دعاء النبي ﷺ في الصلاة (وفيه) ان اجابة دعاء النبي ﷺ لا تفسد الصلاة — هكذا صرح به جماعة من الشافعية وغيرهم وفيه بحث لاحتمال أن تكون اجابته واجبة مطلقاً سواء كان المخاطب مصلياً أو غير مصل، اما كونه يخرج لاجابته من الصلاة أو لا يخرج فليس في الحديث ما يستلزمه ، فيحتمل أن تجب الاجابة ولو خرج المجيب من الصلاة ، والى ذلك جنح بعض الشافعية الخ ماأورده ولا تعرض فيه لما يدعو المرء اليه وهل يشترط لما ذكر أن يكون من أمر الدين أم لا ؟ وقد كان (ص) دعا سعيداً هذا ليعلمه فضل سورة الفاتحة وانها السبع المثاني ، وفي متن الحديث شيء من الاضطراب. على أنه لا يتعلق به بعده (ص) عمل .

وأحق من هذا بالبيان ان طاعته ﷺ واجبة في حياته وبعد مماته فيما علم

انه دعا اليه دعوة عامة من أمر الدين الذي بعثه الله تعالى به كبيانه لصفة الصلوات وعددها والمناسك ولو بالفعل مع قوله « صلوا كما رأيتموني أصلي » وقوله « خذوا عني مناسككم » ومقادير الزكاة وغير ذلك من السنن العملية الدينية المتواترة وكذا أقواله المتواترة التي أمر بتبليغها فيما تدل عليه دلالة قطعية – وأما غير القطعي رواية ودلالة من سنته فهو محل الاجتهاد فكل من ثبت عنده شيء منها ببحثه أو ببحث العلماء الذين يثق بهم على انه من أمر الدين فينبغي له الاهتداء به فيما دل عليه من الاحكام الخمسة بحسبها – الوجوب والندب والحرمة والكراهة والاباحة – لان الامور العملية الاجتهادية يكتفى فيها بالظن الراجح في الدليل وفي دلالته ، ولكن لا يملك أحد من المسلمين أن يجعل اجتهاده تشريعاً عاما يلزمه غيره أو ينكر عليه مخالفته أو مخالفة من قلده هو فيه، إلا الائمة أولي الامر فتجب طاعتهم في اجتهادهم في أحكام المعاملات القضائية والسياسية اذا حكموا بها لاقامة الشرع وصيانة النظام العام – وعلى هذا كله جرى السلف الصالح وجميع أئمة الامصار ، ومن كلامهم ان المجتهد لا يقلد مجتهداً، وانه لا يجب على أحد أن يقلد أحداً [illegible] ، ولكن من عرض له أمر يستفتي فيه من يثق بعلمه وفقهه بالكتاب والسنة ويأخذ بفتواه إذا اطمأن لها . وقد امتنع الامام مالك من إجابة المنصور ثم الرشيد إلى ما عرضاه عليه من الزام الناس العمل بكتبه حتى الموطأ الذي هو سنن واطأه جل علماء المدينة عليها

وأما من يقولون ان النبي ﷺ إنما كانت تجب طاعته في عهده ولا يجب العمل بعده إلا بالقرآن وحده فهم زنادقة ضالون مضلون يريدون هدم الاسلام بدعوى الاسلام، بل تجب طاعة الرسول كما أطلقها الله تعالى ويجب التأسي به في كل زمان إلى يوم القيامة. بل نقول اننا نهتدي بخلفائه الراشدين، وأئمة أهل بيته الطاهرين، وعلماء أصحابه العاملين، وعلماء السلف من التابعين وأئمة الامصار من أهل البيت والفقهاء والمحدثين ، نهتدي بهم في آدابهم واجتهاداتهم القضائية والسياسية مع مراعاة القواعد الشرعية والمصالح العامة ، ولا نسمي شيئاً منها ديناً ندين الله به الا ما ثبت في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ على الوجه المتقدم ، وأما السنن والارشادات النبوية في أمور العادات كاللباس والطعام والشراب والنوم فلم

يعدها أحد من السلف ولا علماء الخلف من أمور الدين فتسمية شيء منها دينا بدعة منكرة لأنه تشريع لم يأذن به تعالى. وقد فصلنا هذه المسألة من قبل في هذا التفسير وفي غيره من مقالات المنار

﴿ واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه وأنه اليه تحشرون ﴾ هذا تنبيه لأمرين عظيمين أمرنا الله أن نعلمهما علما يقينا إذ عاينا لما لهما من الشأن في مقام الوصية بالاستجابة لدعوة الحياة الانسانية العليا التي فيها سعادة الدنيا والآخرة ،

(الاول) ان من سنة الله في البشر الحيلولة بين المرء وبين قلبه ، الذي هو مركز الوجدان والادراك ذي السلطان على ارادته وعمله ، وهذا أخوف ما يخافه المتقي على نفسه ، إذا غفل عنها وفرط في جنب ربه ، كما أنه أرجى ما يرجوه المسرف عليها اذا لم ييأس من روح الله فيها ، فهذه الحقيقة أعجب جمل القرآن ولعلها أبلغها في التعبير ، وأجمعها لحقائق علم النفس البشرية ، وعلم الصفات الربانية ، وعلم التربية الدينية التي تعرف دقائقها من الخوف والرجاء ... على سبيل الهدى ويتقي بثبات طرق الضلالة الإنسانية إلى مهاوي الردى ... قلبه قد تقلب بعصوف هوى جديد ، يميل به عن الصراط المستقيم ، من شبهة تزعزع الاعتقاد ، أو شهوة يغلب بها الغي على الرشاد ، فيطيع هواه ، ويتخذه إلهه من دون الله ، (أفرأيت من اتخذ إلهه هواه أفأنت تكون عليه وكيلا) على انه فيه مختار ، فلا جبر ولا اضطرار ،

ويقابل هذا من الحيلولة ما حكى بعضهم عن نفسه ، انه كان منهمكا في شهواته ولهوه ، تاركا لهداه وطاعة ربه ، فنزل يوما في زورق مع خلان له في نهر دجلة للتنزه ومعهم النبيذ والمعازف ، فبينما يعزفون ويشربون ، اذ التقوا بزورق آخر فيه تال للقرآن يرتل سورة (اذا الشمس كورت) فوقعت تلاوته من نفسه موقع التأثير والعظة ، فاستمع له وأنصت ، حتى إذا بلغ قوله تعالى (وإذا الصحف نشرت) امتلأ قلبه خشية من الله ، وتدبراً لاطلاعه على صحيفة عمله يوم يلقاه ، فاخذ العود من العازف فكسره وألقاه في دجلة ، وثنى بلبند قناني النبيذ وكؤوسه فيها ، وصار يردد الآية ، وعاد إلى منزله تائبا من كل معصية ، مجتهداً في كل ما يستطيع من طاعة فتذكير الله تعالى إيانا بهذا الشأن من شؤون الانسان ، وهذه السنة القلبية

من سنن الله تعالى في الارادات والاعمال ، وأمره إيانا بأن نعلمها علم إيقان واذعان، يفيدنا فائدتين لا يكمل بدونهما الايمان ، وهما أن لا يأمن الطائع المشمر من مكر الله فيغتر بطاعته ويعجب بنفسه ، وأن لا ييأس العاصي والمقصر في الطاعة من روح الله ، فيسترسل في اتباع هواه ، حتى تحيط به خطاياه . ومن لم يأمن عقاب الله، ولم ييأس من رحمة الله، يكون جديراً بأن يراقب قلبه، ويحاسب نفسه على خواطره ، ويعاقب نفسه على هفواته ، لتظل على صراط العدل المستقيم، متجنبة الافراط والتفريط ، ويتحرى أن يكون دائماً بين خوف يحجزه من المعاصي ورجاء يحمله على الطاعات، ويساعدنا على ذلك الأمر (الثاني) وهو تذكر حشرنا اليه عز وجل ومحاسبته إيانا على أعمالنا القلبية والبدنية ، ومجازاته إيانا عليها إما بالعذاب الاليم، وإما بالنعيم المقيم ، وهذا منه مقتضى الفضل، وذاك أثر العدل،

ومما يؤيد ما فهمناه في هذا المقام مقام حرمان الراسخين في الكفر من سماع الفقه والهدى، والمباعدة بين المرء وقلبه أن يعصي الهوى ، (٤٥ : ٢٣ أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله ؟ أفلا تذكرون) فهي صريحة في أن من هذا حاله ليس مجبوراً عليه وان الله لم يحرمه الهدى بالمجازة عنه وهو يؤثره ويفضله ، أو بإكراهه على اتباع الهوى وهو كاره له ، فانه أسند اليه اتخاذ هواه إلهه ، وقد قال تعالى لنبيه داود عليه السلام (٣٨ : ٢٦ ياداود انا جعلناك خليفة في الارض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله) الآية

فهذا نص في ان اتباع الهوى سبب للضلال عن سبيل الله ، فقوله في آية الجاثية (وأضله الله على علم) ليس معناه انه تعالى خلق فيه الضلال استقلالا كما يدعي بعض المتكلمين بل هو داخل في سنته تعالى في الاسباب والمسببات ويؤيده اثبات كون ضلاله على علم وهو انه متعمد لاتباع الهوى ، مؤثر له على الهدى ، والله تعالى يسند الامور الى أسبابها تارة واليه تعالى تارة من حيث انه خالق كل شيء، وواضع سنن الاسباب والمسببات . ومن الاسباب ما جعله من أفعال المخلوقات الاختيارية على علم ، وما جعله بأسباب لا يعلم الخلق اختيار فيها ولا علم،

وكل من القسمين يسند الى سببه تارة والى رب الاسباب تارة والجهة مختلفة معروفة، ويختار هذا أو ذاك في البيان بحسب سياق الكلام كقوله تعالى في الحرث (أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون؟) فهل يقول عاقل ان الفلاح لا فعل له ولا اختيار في زرعه وان الله يخلقه له بدون إرادته ولا فعله أو ان فعله وتركه في أرضه سواء، ونقيضه لتخله وعدمه سيان ؟

وجملة القول أن من سننه تعالى في البشر ان من يتبع هواه في أعماله ويستمر الى ذلك ويدمنه الزمن الطويل تضعف إرادته في هواه، حتى تذوب وتفنى فيه، فلا تعود تؤثر فيه المواعظ القولية، ولا العبر المبصرة ولا المعقولة، وهذه الحالة يعبر عنها بالختم والرين والطبع على القلب، وبالصمم والعمى والبكم كما تقدم آنفا وسبق مثله في تفسير سورة البقرة وغيرها،

وأمثال هذه الأمثال المضروبة لهذه الحالة [illegible] الجبرية غافلين عن كونها عاقبة طبيعية لادمان تلك الاعمال الاختيارية، وكذا [illegible] الحرفيشعر بعتو وألم عصي لا يسكن [illegible] على ان هذه الآية علمتنا عدم اليأس

ومن تفسير القرآن بالقرآن في تقليب القلوب والحيلولة بينها وبين إرادة الانسان المتصرفة في قدرته ومشاعره قوله تعالى من سورة الانعام (٦ : ١٠٩ ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة، ونذرهم في طغيانهم يعمهون) فيراجع معناها في آخر تفسير الجزء السابع، وقال الراغب : تقليب الله القلوب صرفها من رأي الى رأي. وذكر آية الانعام هذه

ومن تفسير الآية المأثور في السنة ما رواه ابن مردويه في تفسيرها عن ابن عباس مرفوعا «يحول بين المؤمن وبين الكفر، وبين الكافر وبين الهدى» وسنده ضعيف كما قال الحافظ في الفتح وله ولغيره آثار في هذا المعنى. وروى البخاري وأصحاب السنن إلا أبا داود من حديث عبد الله بن عمر قال كانت يمين النبي (ص) «لا ومقلب القلوب» وفي رواية له عنه : أكبر ما كان النبي ﷺ يحلف «لا ومقلب القلوب» وفي معناه أحاديث أخرى عند ابن ماجه وغيره والمفسرين وشراح الاحاديث أغلاط لفظية ومعنوية في تفسير لفظ القلب وفي تقليب الله تعالى له.

وقد تقدم تفسيره اللفظي من قبل ، ومعنى تقليبه آنفا ، وقولهم ان الله خالق القلوب ومقلبها حق وكذا أفعال العباد كلها ، وليس بحق ماعبر به بعضهم عن ذلك بأن الله تعالى يمنع الكافر بمحض قدرته عن الايمان وغيره من أفعال الخير مباشرة ، ويخلق في قلبه ولسانه الكفر اعتقاداً ونطقا خلقا أُنُفاً لا فعل له فيه ، فالجمع بين الآيات التي أوردناها وما في معناها يبطله ويثبت الاسباب الاختيارية ، والقائلون بما ذكر يثبتون قول القدرية ويحتجون به على قول الجبرية فهم يؤيدون الفاسد بالفاسد ولا يشعرون ، ويمدهم إخوانهم الصوفية في الغي ثم لا يقصرون .

بعد هذه الأوامر والنواهي الخاصة بأعمال الناس الاختيارية الشخصية ، وما يخشى أن تؤدي إليه مما يحرمهم من الهداية الخصوصية ، بانتهاء الاختياري منها الى مايكاد يخرج عن الاختيار ، بانضعاف الارادة واستعبادها للاهواء ، — أمرهم باتقاء نوع من أنواع الفتن الاجتماعية التي تكون تبعة عقوبتها مشتركة بين المصطلي بنارها فعلا ، ويعم المؤاخذة به من قصر في درئه ، وإقراره على فعله ، فقال ﴿ واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة ﴾ أي واتقوا وقوع الفتن القومية والملية العامة التي من شأنها أن تقع بين الأمم في التنازع على مصالحها العامة من الملك والسيادة أو التفرق في الدين والشريعة ، والانقسام الى الاحزاب الدينية كالمذاهب والسياسية كالحكم ، فان العقاب على ذنوب الامم أثر لازم لها في الدنيا قبل الآخرة كما تقدم مراراً ، ولهذا عبر هنا بالفتنة دون الذنب والمعصية ، والفتنة البلاء والاختبار كما تقدم بيانه مرارا .

روى أحمد والبزار وابن المنذر وابن مردويه عن مطرف قال قلنا للزبير ياأباعبد الله ضيعتم الخليفة حتى قتل ثم جئتم تطلبون بدمه ? فقال إنا قرأنا على عهد رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر وعثمان (واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة) ولم نكن نحسب انا أهلها حتى وقعت فينا حيث وقعت . وروى عنه جمهور مخرجي التفسير المأثور : لقد قرأناها زمانا وما نرى انا من أهلها فاذا نحن المعنيون بها . وأخرج ابن جرير من طريق الحسن عنه قال لقد خوفنا بهذه الآية ونحن مع رسول الله ﷺ وما ظننا انا خصصنا بها . قال

الحافظ في الفتح وأخرجه النسائي من هذا الوجه نحوه ، وله طرق أخرى عن الزبير عند الطبري وغيره . وأخرج ابن جرير وابن المنذر في الآية قال : نزلت في علي وعثمان وطلحة والزبير ـ وعبد بن حميد عنه قال : أما والله لقد علم أقوام حين نزلت أن يستخص بها قوم . وهو وأبو الشيخ عن قتادة قال : علم والله ذوو الالباب من أصحاب محمد ﷺ حين نزلت هذه الآية أن سيكون فتن . وابن جرير وأبو الشيخ عن السدي في الآية قال : نزلت في أهل بدر خاصة فأصابتهم يوم الجمل فاقتتلوا فكان من المقتولين طلحة والزبير وهما من أهل بدر . وآخرون عنه قال : أخبرت انهم اهل الجمل . وابن أبي حاتم عن الضحاك قال : تصيب الظالم والصالح عامة . وأبو الشيخ عن مجاهد قال : هي (يحول بين المرء وقلبه) حتى يتركه لا يعقل . وروى جمهورهم عن ابن عباس قال : أمر الله المؤمنين أن لا يقروا المنكر بين أظهرهم فيعمهم الله بالعذاب

قال الحافظ ولهذا الاثر شاهد من حديث عدي بن عميرة سمعت رسول الله ﷺ يقول « ان الله عز وجل لا يعذب العامة بعمل الخاصة حتى يروا المنكر بين ظهرانيهم وهم قادرون على أن ينكروه ، فاذا فعلوا ذلك عذب الله الخاصة والعامة » أخرجه أحمد بسند حسن وهو عند أبي داود من حديث العرس بن عميرة وهو أخو عدي وله شواهد من حديث حذيفة وجرير وغيرهما عند أحمد وغيره

ومعاني هذه الروايات متفقة صحيحة المعاني الا قول من قال بالتخصيص فهي عامة إلى يوم القيامة لأنها بيان لسنة من سنن الله تعالى في الامم والملل كما بينا . وأما فتنة عثمان فكانت أول هذه الفتن التي اختلفت فيها الآراء ، فاختلفت الاعمال من أهل الحل والعقد فخلا الجو للمفسدين من السبأيين وأعوانهم من زنادقة اليهود والمجوس وغيرهم ، وأعقبت فتنة الجمل وصفين ، ثم فتنة ابن الزبير مع بني أمية ثم قتلهم الحسين عليه السلام الخ . ولو تداركوها كما تدارك أبو بكر (رض) فتنة الردة لما كانت فتنة تبعتها فتن كثيرة لا يزال المسلمون مصابين بها ومعذبين بعذابها وأكبرها فتن الخلافة والملك وفتن افتراق المذاهب

﴿ واعلموا أن الله شديد العقاب ﴾ لمن خالف سنته في الامم والافراد التي

لاتبديل لها ولا تحويل ، وان خالف هداية دينه المزكية للانفس وقطعيات شرعه المبنية على درء المفاسد والمضار وحفظ المصالح والمنافع . وهذا العقاب منه مايقع في الدنيا والآخرة ومنه مايقع في احداهما فقط ، سواء كان للأفراد أو للأمم ، وعقاب الامم المذكور في هذه الآية مطرد في الدنيا ، وأول من أصابه من أمتنا الاسلامية أهل القرن الاول الذي كانوا خيرها بل خير الأمم كلها ولكنهم لما قصروا في درء الفتنة الاولى عاقبهم الله عليها عقابا شديداً كما تقدم آنفا ، وهكذا تسلسل العقاب في كل جيل وقع فيه ذلك ، ثم امتزجت الفتن المذهبية بالفتن السياسية الخاصة بالخلافة والسلطان ، ولهذا كانت فتنة الخلاف بين أهل السنة والشيعة أشد مصائب هذه الامة وأدومها ، فزالت الخلافة التي تنازعوا عليها ، وتنافسوا فيها ، وتقاتلوا لأجلها ، ولم تزل هي تزداد قوة وشبابا ، وقد شرحنا هذا الموضوع في مواضع من مجلة المنار

﴿واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون في الارض﴾ قيل ان الخطاب للمهاجرين يذكرهم بما كان من ضعفهم وقلتهم بمكة — وقيل إنه للمسلمين كافة في عهد نزول السورة يذكرهم بما كان من ضعف أمتهم العربية في جزيرتهم بين الدول القوية من الروم والفرس ، ولا مانع فيه من ارادة هذا وذاك معا. فقوله تعالى ﴿تخافون أن يتخطفكم الناس﴾ أي تخافون من أول الاسلام إلى وقت الهجرة أن يتخطفكم مشركو قومكم من قريش وغيرها من العرب ، أي أن ينتزعوكم بسرعة فيفتكوا بكم — كما كان يتخطف بعضهم بعضاً خارج الحرم وتتخطفهم الامم من أطراف جزيرتهم. قال تعالى في أهل الحرم ﴿أولم يروا انا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم؟﴾ ﴿فآواكم﴾ يامعشر المهاجرين إلى الانصار ﴿وأيدكم﴾ وإياهم ﴿بنصره﴾ في هذه الغزوة وسيؤيدكم على الروم وفارس وغيرهم كما وعدكم في كتابه بالاجمال وبينه لكم الرسول ﷺ بالتصريح ﴿ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون﴾ هذه الثلاث وغيرها من نعمه ، فيزيدكم من فضله كما وعدكم بقوله ﴿وإذ تأذن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابي لشديد﴾

وقد جاء في الدر المنثور من تفسير هذه الآية بالمأثور باختصار قليل ما نصه:

أخرج ابن المنذر وابن جرير وأبو الشيخ عن قتادة رضي الله عنه في قوله (واذكروا إذ أنتم قليل) الآية ، قال كان هذا الحي أذل الناس ذلاً وأشقاه عيشاً وأجوعه بطوناً ، وأعراه جلوداً وأبينه ضلالة ، معكوفين على رأس حجر بين فارس والروم لا والله ما في بلادهم ما يحسدون عليه ، من عاش منهم عاش شقياً ومن مات منهم ردي في النار ، يؤكلون ولا يأكلون ، لا والله ما نعلم قبيلا من حاضر الارض يومئذ كان أشر منزلاً منهم ، حتى جاء الله بالاسلام فمكن به في البلاد ووسع به في الرزق ، وجعلكم به ملوكا على رقاب الناس ، وبالاسلام أعطى الله ما رأيتم فاشكروا لله نعمه فان ربكم منعم يحب الشكر وأهل الشكر في مزيد من الله عز وجل

وأخرج ابن المنذر عن ابن جريج في قوله (يتخطفكم الناس) : في الجاهلية بمكة (فآواكم) الى الاسلام ، وأخرج أبو الشيخ وأبو نعيم والديلمي في مسند الفردوس عن ابن عباس رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ في قوله (واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون في الارض تخافون أن يتخطفكم الناس) قيل يارسول الله : ومن الناس ؟ قال « أهل فارس » وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن السدي في قوله (فآواكم) قال الى الانصار بالمدينة (وأيدكم بنصره) قال يوم بدر اه

ومن العبرة في الآيات انها حجج تاريخية اجتماعية على كون الاسلام إصلاحا أورث ويورث من اهتدى به سعادة الدنيا والسيادة والسلطان فيها قبل الآخرة ، ولكن أعداءه الجاحدون لهذا على علم قد شوهوا تاريخه ، وصدوا الناس عنه بالباطل ـ وان أهله قد هجروا كتابه وتركوا هدايته وجهلوا تاريخه ، ثم صاروا يقلدون أولئك الاعداء في الحكم عليه حتى زعموا انه هو سبب جهلهم وضعفهم وزوال ملكهم الذي كان عقوبة من الله تعالى لخلفهم الطالح على تركه ، بعد تلك العقوبة لسلفهم الصالح على الفتنة بالتنازع على ملكه . فالى متى الى متى أيها المسلمون ؟ إنا لله وإنا اليه راجعون

فتاوى المنار

(أسئلة من تونس) (تأخرت سهواً)

(س ٢٩ ـ ٣٣) من صاحب الامضاء بتونس

حضرة صاحب الفضيلة والفضل ، والرأي والقول الفصل .

سيدي أعزك الله وأخذ بيدك . من بعد تقديم السلام والاحترام لسعادتكم ، وما يجب عليّ أن أبرز ما أشعر به بفؤادي نحو خدمتكم من الشكر الجزيل ، والدعاء لكم بالبقاء والعمر الطويل فاني أرجو من فضيلتكم أن تعيرونا فترة من وقتكم النفيس كي تجيبونا على السؤالين التاليين خدمة للعلم ودحضاً للدعاية التي يبثونها جماعة المبعوثات البروتستانت ببلد [illegible] الحظ مما جعل الناس في حيرة من القبض على دينهم وكأنه [illegible] كلمة [illegible] يوم» الحديث ـ ولكم المنة والشكر [illegible] الأجر .

أولا : أن تفسروا في مناركم المنير . ما معنى أو كنه الآية التي بعد : (الله الذي خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن) الآية . وما يقصد بالمثلية وإن كانت في العدد كما هو المتبادر فكيف يتصور عدهن وإن كانت طبقات طبقات بعضها فوق بعض (حسبما أشار اليه ذو الجلالين) وتحيط بجميعها الكرة الارضية فلماذا لحد الآن لم يكشف شيئاً من هذا الانفصال العلم الحديث رغم ماحفروا ونقبوا الارض تنقيبا ولماذا يفرق بينهن إن كانت على هاته المنوال والحالة هذه . وإن فرضنا ان كل أرض مصورة بكرة أرضية خاصة والحال أننا في واحدة فقط كما هو المقرر فالباقيات الست أين هي؟ ومن يسكنها ؟ وما أقوال الباحثين فيها ؟ انتهى

ثانياً : ما حالة سيدنا عيسى الآن ؟ وأين جسم سيدنا عيسى من روحه ؟ وما قولكم في الآية التي بعد (إني متوفيك ورافعك إليّ) الآية . وإن كان حياً يرزق كما كان في الدنيا فمن يأتيه الغذاء الذي يحتاج اليه كل جسم حيواني كما

هي سنة الله في خلقه ؟ وإن قلنا انه في السماء وأثبتنا من الآية أو غيرها ماتقدم فعند نزوله في أي مكان ينزل؟ ومن أين يأتي ؟ وما أقوال السادة العلماء فيه ؟ وماحكم من ينكر وجود سيدنا عيسى الآن حياً ويعتقد[1] في يوم يأتي؟ ومانصيب هـذا المفكر من الايمان ؟ أفيدونا عن ذلك ولكم الدعاء بالاعانة والامتنان .

وياحبذا لو تسرعوا بنشر السؤالين في المجلة حتى ينفصم حبل الالحاد والتضليل (وإبادة كل بدعة أو ضلالة أنفع لجميع المسلمين) والله يحق الحق ويزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا. على لسان من يقيضه من خلقه ويجعله بذلك خليقا، والسلام

من محبكم الداعي لكم مشتركم
فقير ربه عمر خوجه بتونس

تفسير (الله الذي خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن)

جاء ذكر السموات والارض معا في عشرات من الآيات، وجاء ذكر الارض وحدها في آيات أخرى كثيرة ولم تذكر في القرآن إلا مفردة بحيث ليس فيه مايشير الى تعدد الارض إلا هذه الآية في آخر سورة الطلاق على بعض الوجوه المحتملة في المثلية وهي مبهمة لايمكن تعيين المراد منها بالرأي على سبيل القطع، وقد تغلغلت الاسرائيليات في تفسيرها ولا سيما أقوال كعب الاحبار ووهب بن منبه التي صرح المحققون بعدم الثقة بشيء منها، وناهيك بهذه الاسرائيليات في وصف السموات السبع والارضين السبع وما فيهن، ومن أغربها اثر ابن جريج الطويل العريض في خرافات طولهن وعرضهن وما فيهن والمسافات بينهن وبالصخرة الخضراء المكللة والثور ذي الثلاث القوائم والقرنين وبالحوت الذي ذنبه عند رأسه . وبالخرافة التي أخرجها أبو الشيخ في العظمة عن كعب الاحبار قال : الارضون السبع على صخرة والصخرة في كف ملك والملك على جناح الحوت والحوت في الماء والماء على الريح والريح على الهواء ريح عقيم لاتلقح وان قرونها معلقة بالعرش

وروي عن ابن عباس في تفسير الآية أنه قال لو حدثتكم بها لكفرتم وكفركم تكذيبكم

---

١) كذا في الاصل ولعله سقط منه شيء وهل هو إثبات نزوله في يوم يأتي أو عدمه؟

بها وروي عنه انه قال سبع أرضين في كل أرض نبي كنبيكم وآدم كآدمكم ونوح كنوحكم وابراهيم كابراهيمكم وعيسى كعيساكم . قال البيهقي اسناده صحيح ولكنه شاذ بمرة لا أعلم لأبي الضحى عليه متابعا . وقال الذهبي مثل ذلك وزعم أبوحيان انه موضوع من رواية الواقدي . وهو رأي في المثلية معناه : وخلق من الارض مثلهن في الصفة وهو كونها كأرضنا حتى في حياة أمثالنا من العقلاء المكلفين فيها . وهذا المعنى يقتضي ان في السموات السبع ولو في جملتهن ومجموعهن أحياء كبني آدم بعث فيهم رسل كرسلهم وهو ليس بشاذ لا يعرف له أصل كما زعموا بل له أصل في القرآن نفسه وهو (٤٢ : ٢٩ ومن آياته خلق السموات والارض وما بث فيهما من دابة وهو على جمعهم إذ يشاء قدير)

وقال جمهور المفسرين إن المراد بالمثلية العدد وهو كونها سبعاً وحاول بعضهم وصفهن بكل ماوصفت به السموات السبع من كونهن طباقا بعضها فوق بعض إلى غير ذلك ، ومن وجود السكان فيهن قيل من الملائكة وقيل من الجن — ولكن الملائكة والجن لم يطلق عليهما اسم الدواب [illegible] يهرب هؤلاء من اثبات انواع الحيوان فيهن والله تعالى يقول (وما بث فيهما من دابة) أي السموات والارض ولو في جملتهما

وقال بعضهم تبعا للضحاك انهن سبع طبقات متصل بعضها ببعض لا متفرقة وفصله بعضهم بما يقرب من قول علماء الجيولوجيا في طبقات الارض . وقال آخرون : ومن الارض مثلهن في العدد فقط مع الامساك عن الاتصال والانفصال

والسائل مطلع على هذه الاقوال والآية ليست نصاً في شيء مما قيل والمتبادر منها بحسب العبارة وصرف النظر عن الروايات والاقوال أن الله خلق سبع سموات وخلق الارض مماثلة لهن أو خلق من الارض مثلا ونظيراً لهن . أي ان خلق الارض كخلق السموات ، والمثلية تصدق في الامور المشتركة بين المثلين ولا يجب أن تكون من كل وجه في المادة والصفات ، كيف وقد ضرب الله المثل لنوره المصباح في المشكاة ، وانما تعرف الصفات المشتركة بين الاشياء بالحس يقينا أو بالقياس ظنا أو بالوحي إيمانا ، وليس عندنا نص من الوحي في وجه المماثلة ، وأما

الحس فاننا نرى الارض على قرب ونعرف من صفاتها شيئاً كثيراً إن لم نقل كل شيء ولو بالاجمال، وأما السموات السبع فاذا كان المراد بها الدراري التابعة لنظام شمسنا هذه كما كان يفهم العرب مثل أمية بن أبي الصلت الذي ذكر السبع في شعره وكما يقول الكثيرون من العلماء بالتفسير وبعلم الهيئة الفلكية فوجه الشبه ظاهر عندهم وهو ان هذه الارض نفسها كوكب من كواكب النظام الشمسي كالمريخ والمشتري التي تستمد النور من الشمس وترتبط معها بسنة الجاذبية العامة، إلا ان بينها فروقا وأقربها الى صفة الارض في أحيائها النباتية والحيوانية المريخ. وقد نقل الراغب عن بعض العلماء عبارة بديعة في هذا المعنى وهي: كل سماء بالاضافة الى مادونها فسماء وبالاضافة الى مافوقها فأرض، إلا السماء العليا فانها سماء بلا أرض، قال وحمل على هذا قوله (الله الذي خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن)

وأقول إن هذه الدراري إنما كانت تعد سبعا في عرف المتقدمين بعد الشمس والقمر منها دون الارض، وهي تعد الآن ثماني منها الارض وكوكبان عرفا بارصاد هذا العصر وهما أورانوس ونبتون [illegible] وحل [illegible] دونه المشتري فالمريخ فالزهرة فعطارد وهي سبع سموات بالنسبة الينا كما تقدم فبقيت عبارة القرآن صحيحة في نفسها وإن كانت السموات السبع مجهولة لنا كأن تكون من عالم الغيب فالواجب أن يحمل معنى المثلية على أعم الوجوه ككونها من خلق الله الدال على قدرته وعلمه كما يدل عليه آخر الآية وسياقي، ولكن هذا القول مردود بالآيات القرآنية المتعددة

وقد ورد في الاحاديث والآثار روايات كثيرة في ذكر السموات السبع والارض وفي بعضها ذكر لتعدد الارض وقد عقد البخاري في كتاب بدء الخلق من صحيحه بابا سماه (باب ما جاء في سبع أرضين) وقول الله تعالى (الله الذي خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن) الخ الآية وذكر فيه حديث عائشة مرفوعا « من ظلم قيد شبر من الارض طوقه من سبع أرضين » وحديث سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل «اشهد لسمعت رسول الله ﷺ يقول «من أخذ شبراً من الارض ظلما فانه يطوقه يوم القيامة من سبع أرضين» وظاهره يوافق قول من قال ان المراد بالسبع الطبقات وأنهن متصلات كطبقات الجيولوجية قال الحافظ في شرح الحديث

من كتاب المظالم من الفتح : وفيه ان الارضين السبع متراكمة لم يفتق بعضها عن بعض لأنها لو فتقت لا كتفى في حق هذا الغاصب بتطويق التي غصبها لانفصالها عما تحتها، أشار الى ذلك الداودي وفيه ان الارضين السبع طباق كالسموات وهو ظاهر قوله تعالى (ومن الارض مثلهن) خلافا لمن قال ان المراد بقوله سبع أرضين سبعة أقاليم الخ . وأنت ترى ان هذين القولين مختلفان فان كانت السبع الطباق من السموات منفصلا بعضها عن بعض لا يظهر معنى التطويق منهن في الحديث الصحيح، وهو الحديث الصحيح في التعدد دون غيره . ولا ندري أكان هذا الجمع مستعملا بالسبع عند العرب كالسموات أم لا

وروى أحمد والترمذي عن الحسن عن أبي هريرة حديثا مرفوعا فيه «بين سبع أرضين بين كل منها خمسمائة عام» وهو حديث غريب منقطع والحسن لم يسمع عن أبي هريرة ورواه البزار والبيهقي من حديث أبي ذر مرفوعا بنحوه وهو مرسل قال في البداية ولا يصح اسناده

وقد علم مما تقدم أنه أصح ما ورد في تعدد الارض حديثا المشهور بزيد بن سعيد (رض) في مغتصب شيء من الارض أنه يطوقه من سبع أرضين وهذا لا يدل على تعدد الارض بوجود سبع مستقلة منفصل بعضها عن بعض كالسموات وهو لم يرد تفسيرا للآية، ويليه حديث ابن عباس في كون كل أرض منها منفصلة عن غيرها مستقلة يسكنها عقلاء مكلفون فيهم رسل منهم كأشهر الرسل منا . وقد ضعفوه بشذوذ متنه عندهم لاستغراب وجود رسل في عالم آخر غير أرضهم . قال القسطلاني: ففيه – أي في تضعيف البيهقي والذهبي له بالشذوذ – انه لا يلزم من صحة الاسناد صحة المتن كما هو معروف عند أهل هذا الشأن فقد يصح الاسناد ويكون في المتن شذوذ وعلة تقدح في صحته . ومثل هذا لا يثبت بالحديث الضعيف . وقال في البداية وهذا محمول ان صح نقله على ان ابن عباس أخذه من الاسرائيليات اه

وأقول ان هذه القاعدة صحيحة عند المحدثين والاصوليين جميعا ولكن قل من عني بتحكيمها في الاحاديث الشاذة المتون بمخالفة القطعيات حتى الحسية منها كحديث أبي ذر (رض) في غروب الشمس وكونها تكون مدة غيابها عن الارض

ساجدة تحت العرش تستأذن ربها في العودة الى الطلوع الخ وهو متن مخالف للحس فان الشمس لا تغيب عن الارض كلها طرفة عين وانما تغرب عن قوم وتطلع على آخرين، وهذا مشاهد معلوم بالقطع . ولما أوردنا رد طعن الطاعنين على الاسلام به وبينا الرد على ذلك من عدة وجوه طعن في ديننا دجال بيروت يوسف النبهاني الشامر بجهله وتعصبه لانه روي في الصحيح

ومما سبق لنا بيانه في هذا المقام من وقوع مثل هذا الشذوذ في الصحيحين على قلة ان حديث أبي هريرة عند أحمد ومسلم في خلق السموات والارض في سبعة أيام وأوله « خلق الله التربة يوم السبت » وصرح فيه أبو هريرة بالسماع منه ﷺ قال القسطلاني كغيره لكن اختلف فيه على ابن جريج وقد تكلم فيه فقال البخاري في تاريخه : وقال بعضهم عن كعب الاحبار وهو أصح . يعني انه أصح مما سمعه أبو هريرة وتلقاه عن كعب فوهم بعض الرواة فجعله مرفوعا. وفي متنه غرابة شديدة الخ

أقول وقد حققنا من قبل ان كعب الاحبار من زنادقة اليهود الذين اظهروا الاسلام والعبادة لتقبل اقوالهم في الدين ويحمل على التواطؤ عن أنبياء بني اسرائيل وقد راجت دسيسته حتى انخدع به بعض الصحابة ورووا عنه وصاروا يتناقلون قوله بدون اسناده اليه حتى ظن بعض التابعين ومن بعدهم انها مما سمعوه من النبي ﷺ وأدخلها بعض المؤلفين في الموقوفات التي لها حكم المرفوع كما قال الحافظ ابن كثير في مواضع من تفسيره من أوضحها كلامه في تفسير هذه الآية ، ونحن كما بينا ذلك مراراً في التفسير وغير التفسير من مباحث المنار

وجملة القول انه ليس لدينا حديث صحيح مرفوع لا قطعي ولا ظني في بيان المراد من قوله تعالى (ومن الارض مثلهن) والمتبادر منه انه خلق لنا من هذه الارض أو هذه الارض نفسها مثلهن خلقا وتكوينا ويدخل في هذه المثلية تنقل خلق كل من هذه الارض وتلك الاجرام المماثلة لها في الاطوار المبينة في آيات حم السجدة وليس الغرض من ذكر ذلك بيان حقيقة السموات والارض وصفاتها ، بل دلالة ذلك على قدرة الله تعالى وعلمه بما خلقه فانه قال في آخر الآية (لتعلموا ان الله على كل شيء قدير وان الله قد أحاط بكل شيء علما)

فعلم مما تقدم كله ان نص الآية المسئول عنها لا يرد عليه اعتراض علمي فلكي مما ثبت في علم الهيئة بالقطع بل هي موافقة لهذا العلم في الجملة ولا سيما على القول الذي نقلنا ما ذكره الراغب في بيانه ، وهو ان كل كوكب من الدراري أرض بالنسبة الى من فيه من المخلوقات وسماء بالنسبة الى من يراه فوقه من سكان سائر الكواكب .

وهذا التعبير أصح مما نقله هو لموافقته الهيئة الجديدة . واذا ضممنا اليه سائر الآيات في هذه المسائل ظهرت معجزة أو معجزات جديدة للقرآن باثباته لحقائق أخرى لم يكن يعلمها الرسول ولا قومه من قبله بل منها ما لم يكن يعلمه أحد ، وقد بينا الشواهد على هذا في الكلام على إعجاز القرآن من جزء التفسير الاول وغيره وفي مواضع أخرى من المنار ، وآخر ما أثبته بعض كبار الفلكيين القريبين من ذلك إثبات حركة للشمس تجري فيها الى غاية مجهولة وجميع دراريها تابعة لها وهو صريح قوله تعالى (والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم) ولكن ما ورد في كتب اليهود والنصارى في الخلق والتكوين السموات والارض وغيرها هو المعترض الذي لا يمكن الجواب المعقول عنه ، وسبب ذلك أنه لم ينقل عن الوحي نقلا صحيحا متواترا

حالة سيدنا عيسى الآن وآية وفاته ورفعه

الذي نعلمه قطعاً ان سيدنا عيسى عليه السلام في عالم الغيب كغيره من اخوانه النبيين ، وان حالته فيه حسنة لأنه من أولي العزم من الرسل وقد وعد الله أمه بان يجعله وجيها في الدنيا والآخرة ومن المقربين . ولا نعلم شيئا تفصيليا عن حاله كما هو شأننا في سائر ما في عالم الغيب لأنه لا مجال للعقل والرأي فيه وإنما الواجب فيه اتباع النصوص القطعية من القرآن ومن أخبار المعصوم القطعية الرواية والدلالة فليس عندنا نص من ذلك في علاقة جسده بروحه ولا في صفة رزقه ولو وجد نص في ذلك لما كان إلا مثل ما ورد في صحيح مسلم عن حياة الشهداء ، وكون أرواحهم في الآخرة تكون « في جوف طير خضر لها قناديل معلقة بالعرش تسرح من

الجنة حيث شاءت ثم تأوي الى تلك القناديل » فهل يمكننا أن نفهم من هذا الحديث شيئا نعرفه معرفة تفصيلية ؟

وأما قوله تعالى (ياعيسى إني متوفيك ورافعك إليّ) الآية فهو على ظاهره كما رواه مخرجو المأثور عن علي بن طلحة عن ابن عباس قال (إني متوفيك) مميتك ونقله الحافظ ابن كثير ومحيي السنة البغوي في تفسيريهما[1] وذكرا بعده ان وهب بن منبه قال توفاه الله ثلاث ساعات من أول النهار حين رفعه اليه . وقال مطر الوراق : أي متوفيك من الدنيا وليس بوفاة موت ، وكذا قال ابن جرير : توفيه هو رفعه . وقال الاكثرون المراد بالوفاة هنا النوم . ذكره ابن كثير وأورد الشواهد على تسمية النوم وفاة ولا نزاع فيه لغة فان التوفي قبض الشيء وافيا تاما وتعين المراد منه بذكر المتوفى بالصراحة أو بالقرائن . وعبارة البغوي بعد ذكر الاقوال الثلاثة : وقال بعضهم المراد بالتوفي الموت وروي عن علي بن طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما أن معناه : إني مميتك . يدل عليه (قل يتوفاكم ملك الموت) فعلى هذا له تأويلان أحدهما ماقاله وهب [illegible] يقول الضحاك . فعلى هذا يكون قول ابن عباس هو الظاهر المتبادر وقول وهب والضحاك تأويل مخالف للظاهر فيكون كل منهما ضعيفا في نفسه ، على انحطاط رتبة قائله في علمه وفهمه ، ولاسيما وهب بن منبه الذي هو صنو كعب الاحبار في بث الخرافات الاسرائيلية في تفسير أمثال هذه الآيات من القرآن بدعاء غريب ألبس بعضها ثوب زور من المرفوعات والموقوفات

وذكر المفسرون عند تفسير هذه الآية من سورة آل عمران ما في موضوعها من آية سورة النساء وهي قوله تعالى في اليهود (وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله . وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم ، وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه مالهم به من علم إلا اتباع الظن . وما قتلوه يقينا بل رفعه الله اليه وكان الله عزيزاً حكيما) وهي لا تختلف مع الآية الاولى في شيء . وقد كتبت في تفسيرها (من جزء التفسير ٦ ص ٢٠) مانصه :

« وأما قوله تعالى (بل رفعه الله اليه) فقد سبق نظيره في سورة آل عمران

---

١) راجع ذلك في تفسير ابن كثير وتفسير البغوي (ص١٥٠ ج٢ من طبعة المنار)

وذلك قوله تعالى (٣: ١٥٥ إذ قال الله ياعيسى إني متوفيك ورافعك إليّ ومطهرك من الذين كفروا) روي عن ابن عباس تفسير التوفي هنا بالاماتة كما هو الظاهر المتبادر ، وعن ابن جريج تفسيرها بأصل معناها وهو الاخذ والقبض وان المراد منه ومن الرفع إنقاذه من الذين كفروا بعناية من الله الذي اصطفاه وقربه اليه . قال ابن جرير بسنده عن ابن جريج : فرفعه إياه توفيه إياه وتطهيره من الذين كفروا اه . أي ليس المراد به الرفع إلى السماء لا بالروح والجسد ولا بالروح فقط. وعلى القول بأن التوفي الاماتة لا يظهر للرفع معنى إلا رفع الروح، والمشهور بين المفسرين وغيرهم ان الله تعالى رفعه بروحه وجسده إلى السماء اه . وذكرت هنالك استدلالهم على هذا بحديث المعراج وكونه يقتضي حياة كل الانبياء الذين ذكر ﷺ انه رآهم في بيت المقدس وفي السموات كحياته بالروح والجسد ولم يقل بهذا أحد . وورد في ادريس عليه السلام من سورة مريم (ورفعناه مكانا عليا) وقال تعالى في الرسل (منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات) وقال (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات)

نزول المسيح من السماء

وأما نزوله عليه السلام في آخر الزمان فقد استدلوا عليها بآية (وإن من أهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته) بناء على وجه من ثلاثة أوجه قالوها في تفسيرها (الاول) وما من أحد من أهل الكتاب إلا ليؤمنن بعيسى قبل موته الذي سيكون بعد نزوله - وهو أبعد الوجوه عن المتبادر من لفظها اذ ليس فيها اشارة ما إلى نزوله وان هذا الموت يكون بعده (الوجه الثاني) الضمير في موته إلى الكتابي ، والمعنى انه يؤمن بعيسى عند موته وقبيل خروج روحه باطلاع الله إياه على حقيقة أمره عند الغرغرة ، وعلى غير ذلك من أمر الآخرة ، وهو الوقت الذي لا ينفع فيه أحداً إيمانه لانه يصير اضطراريا (الوجه الثالث) ان الضمير في قوله (ليؤمنن به) لمحمد ﷺ

وجملة القول انه ليس في القرآن نص صريح في أن عيسى رفع بروحه وجسده إلى السماء حيا حياة دنيوية بها بحيث يحتاج بحسب سنن الله تعالى الى غذاء فيتوجه سؤال السائل عن غذائه ، وليس فيه نص صريح بأنه ينزل من السماء وانما هذه

عقيدة أكثر النصارى وقد حاولوا في كل زمان منذ ظهر الاسلام إلى الآن بثها في المسلمين وممن حاولوا ذلك بادخالها في التفسير وهب بن منبه الركن الثاني بعد كعب الاحبار لتشويه تفسير القرآن بما بثه فيه من الخرافات كما تقدم آنفا

والاحاديث الواردة في نزوله عليه السلام كثيرة في الصحيحين والسنن وغيرها ، وأكثرها واردة في اشراط الساعة وممزوجة بأحاديث الدجال وفي تلك الاشراط ولاسيما أحاديث الدجال والمهدي اضطراب واختلاف وتعارض كثير بيناه في أواخر تفسير سورة الاعراف . والظاهر من مجموعها انه يظهر في اليهود دجال بل أكبر دجال عرف في تاريخ الامم فيدعي انه هو المسيح الذي تنتظره اليهود فيفتتن به خلق كثير لما يظهره من الغرائب والعجائب التي هي أغرب من جميع معجزات الانبياء أو مثل أعظمها ، وفي آخر مدته يظهر المسيح الذي هو عيسى بن مريم ويكون نزوله في « المنارة البيضاء » شرقي دمشق ويلتقي بالمسيح الدجال بباب لد – [illegible] فيقتل المسيح الصادق عيسى ابن مريم عدو الله المسيح الدجال [illegible] المسلمين واليهود والله أعلم

حكم من ينكر وجود المسيح حيا

وأما من ينكر الآن وجود المسيح حيا بروحه وجسده وما نصيبه من الايمان؟ فقد علم حكمه مما تقدم . وهو ان هذه المسألة ليست من أصول عقائد الاسلام التي تلقن لمن يدخل فيه ولاهله – ولا من الاحكام التي تذكر في كتب الردة بناء على ان جاحدها يرتد عن الاسلام لدخولها في قاعدة كفر من يجحد المجمع عليه المعلوم من الدين بالضرورة – بل هي من المسائل الخلافية حتى بين المنقول عنهم رفع المسيح بروحه وجسده الى السماء ممن لا قيمة لاقوالهم كوهب بن منبه وكذا الضحاك بن مزاحم على انه وان اختلف في توثيقه وتضعيفه خير من وهب بن منبه الذي وثقه الجمهور انخداعا منهم وغفلة عن كون دسائسه الاسرائيلية من وضعه لا منقولة من كتب بني اسرائيل المقدسة . ولم يرو الضحاك عن أحد من الصحابة سماعا وكان يأخذ التفسير عن ذا وذا كما اعترف به

وأما من اطلع على الاحاديث الواردة في نزوله وقتله للدجال واعتقد صحتها فلا يسعه الا أن يعتقد ان النبي ﷺ قالها باعلام من الله تعالى لانها ليست من الآراء الدنيوية التي يتكلم فيها الانبياء كغيرهم بحسب الظن الذي يخطئ ويصيب وهم غير معصومين فيه كما ورد في أحاديث تأبير النخل في صحيح مسلم وما في معناه ، وحينئذ يجب عليه الايمان بصدقه فيها ، فان أنكره ورده عالما بصحته غير متأول لمدلوله يكفر والعياذ بالله تعالى . والأولى والاسلم له أن يقول ان قول الرسول حق وسيقع على الوجه الذي أراده من قوله ، والله أعلم بمراده منه في جملته وتفصيله . وصحته لا تتوقف على القول بعدم موت عيسى فقد قال حبر القرآن وأعلم المفسرين في تفسير آية آل عمران بدلالتها على موته عليه السلام والله تعالى قادر على بعثه ، وعلى ارساله بصفة خارقة للعادة . وقد ذكر الاستاذ الامام ان بعضهم تأولها بأن روح المسيح ومقاصده التي جاء بها لاصلاح جمود اليهود على ظواهر الألفاظ وتركهم لمقاصد الدين [illegible] آل عمران من تفسيرنا . وهذا التأويل بعيد عن ظواهر الالفاظ [illegible] يقول انها وأمثالها من اشراط الساعة وأمور الغيب [illegible] الا ما سمعوا عما فهموا . وقد تقدم هذا البحث في أشراط الساعة من تفسير سورة الاعراف المشار اليه آنفا .

وأما العهد الجديد عند النصارى من الاناجيل وغيرها فهي صريحة في أن المسيح يظهر في الملكوت قبل انقضاء الجيل الذي كان فيه وتقوم الساعة ويدين العالم . وقد ظهر عدم صحة تلك النصوص فاضطروا الى تأويلها بما لا يعقل ، ومع ذلك ينتقدون علينا بما لا إشكال فيه . ينظرون القذى في أعين غيرهم وينسون الجذع الذي في أعينهم

والخلاصة انه لا يجب على مسلم أن يقف على تلك الاحاديث وأمثالها لانها ليست من أركان الايمان ولا من أركان الاسلام كما تقدم - ولا يضره في ايمانه واسلامه الاشتباه في صحتها وعدم القطع بروايتها ودلالتها على ماقال الجمهور - وإنما الذي يضره هو أن يكذبها أو يردها بعد العلم بصحتها واعتقاد ارادته ﷺ لظاهرها لانه حينئذ يكون مكذبا للصادق المصدوق المعصوم من الكذب وكذا من الخطأ فيما يبلغه عن الله تعالى والله أعلم

(باب المقالات)

الاصلاح الحقيقي والواجب للازهر (*)

(والمعاهد الدينية)

إن الأمة المصرية كسائر أمم الشرق جماعة دينية جمعها الدين ووحد بينها، وبنيت أخلاقها وحضارتها عليه . وقد تغلغل الدين في جميع شؤونها ، فنظم سلوك الرجل في منزله ، وسلوك المدنيين بعضهم مع بعض ، وسلوك الملك مع رعيته والرعايا مع ملوكهم . فلو قد سألت مصريا لماذا تصدق في قولك وتتوخى العدل في حكمك وتؤدى الأمانة اذا اؤتمنت؟ ولماذا لاتأتي الفحشاء والمنكر ولا تكذب ولا تجور ولا تخون ؟ لأجابك بأن الله أمر بالأولى ونهى عن الثانية ، واذا كان عالما أو متعلما تلا عليك الآيات والأحاديث الدالة على ذلك مثل آية (إن الله يأمر بالعدل والاحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي) ومثل حديث « آية المنافق ثلاث : اذا حدث كذب واذا وعد أخلف واذا اؤتمن خان » فاذا لم تقو الروح الدينية في نفوس المصريين أو ضعف الدين عندهم انهارت هذه الفضائل لأنه الاساس لها عندهم وقد بنيت عليه فتتداعى وتتصدع بانصدام الاساس ، وكذلك اذا شوه بادخال البدع والخرافات عليه فسدت الامة وضعف أمرها . واذا قوي الدين واستحكمت عقيدته فيهم وبقي بمنجاة من الزوائد والبدع صلحت الامة وقوي أمرها ، لذلك كان حتما مقضيا على أولي الامر في مصر أن يعنوا بأمر الدين ويتعهدوه مخافة أن تضعف العقيدة في نفوس الامة أو تطرأ البدع والمحدثات عليه فتشوه جماله ولا يكون في الامة أداة عز ومنعة

ولما كان الازهر والمعاهد الدينية هي معقل الدين في مصر والمنبع الذي يتخرج منه رجاله وجب أن يعنى بها وأن تتعهد بالقيام عليها واصلاحها

لذلك كان المصلحون الاولون : الشيخ جمال الدين الافغاني والاستاذ الامام

(*) للاستاذ الشهير صاحب الامضاء

وغيرهما يولون وجوههم قبل الازهر ، ويرجون صلاح الامة بإصلاحه ، ورقيها برقيه . ولكن الازهر أبى على المصلحين وامتنع عليهم من الاصلاح ، والسبب في إبائه أن الازهريين لم يكونوا قد اطلعوا إلا على علومهم في كتبهم التي تدرس في الازهر، ولم تكن قد أخرجت لهم المطابع من كتب السلف ولا نتائج قرائح الأمم فما كانوا يرون وراء علمهم علما ، ولا غير تعليمهم تعليماً ويعتقدون أن كل يد تمتد اليهم فانما تمتد بالمسخ والتشويه والافساد .

تلك كانت العقيدة السائدة ، ليس غير الازهر معهداً وليس غير مافيه من علوم علما ولا غير الازهريين علماء ، لذلك أبى ما كان يريده منه المصلحون ، فاضطروا الى انشاء مدارس يراد منها ما كان يراد منه ، فعلوا ذلك وهم يعلمون أنه لايجدي إلا قليلا ، لأن الازهر لما له من المكانة الدينية والتاريخية في الامة هو المسموع الكلمة والنافذ الرأي فيها والعلم الموثوق به عندها في شأن الدين ، فعقيدتها عقيدته ، وآراؤها في الحياة والاحياء آراؤه ، وان هذه المدارس التي تنشأ بجانبه ليست لها هذه المنزلة فلا تؤثر الاثر المطلوب ، ولكنهم فعلوا ذلك ريثما يفيء اليهم ليكون الاصلاح به تاما وشاملا .

هذا شأن الازهر في الماضي البعيد . أما بعد ذلك فقد أذعن للاصلاح لانه قد اتسع أفقه بما خرجته له المطابع من كتب السلف ومن علوم الشعوب فعلم أن وراء علمه علماء وأن وراء كتبه كتباء ولانه رأى أبناءه يعزلون عن الحياة لانهم لا يتسلحون بأسلحتها الجديدة ، لكن ذلك الاصلاح كان كذلك الاصلاح الذي بنيت عليه مدرسة دار العلوم ومدرسة القضاء الشرعي في الشكل والعرض لا في الصميم والجوهر

لقد اقتصر الاصلاح في مدرسة دار العلوم ومدرسة القضاء الشرعي والمعاهد الدينية الى الآن على إدخال بعض علوم جديدة واختصار بعض الكتب وترتيبها وتبويبها

وأما العلوم نفسها فقد بقيت كما كانت لم تمتد اليها يد بتغيير ولا تبديل وربما كان ذلك الاصلاح خيراً في ذلك الزمن ليتقى به الطفرة ولانه كان ملائما لحاجة ذلك العصر . أما الآن وقد تطورت الامة وتغير الزمن وتطلبت أساليب الحياة الجديدة أنماطا من التعليم جديدة فمن الواجب لمصلحة مصر والعالم الاسلامي

أن يكون الاصلاح في موضوع العلوم وجوهرها وأن يتناول مافي الكتب نفسها ومسميات العلوم فربما يغير مسمى العلم نفسه ولا يبقى منه إلا اسما يدل على مسمى آخر ليس بينه وبين المسمى الاول إلا الاشتراك في الاسم .

يجب أن يكون الاصلاح أبعد في الوهم وأقصى في الامد من تلك القشور التي يقترحها المقترحون والتي وقف عندها المصلحون الى الآن . ومنذ صدر القانون بتنظيم سلطة صاحب الجلالة الملك على المعاهد الدينية وأصبحت تابعة لرئيس مجلس الوزراء وأصبح مسؤولا عنها أمام مجلس النواب ، أبدى مجلس النواب غير مرة رغبته في إصلاح الازهر والمعاهد الدينية وقد أبدت لجنة الاوقاف والمعاهد في تقرير ميزانية الازهر تلك الرغبة أيضاً وتقدمت الى الحكومة أن تؤلف لجنة يكون فيها جماعة من النواب لوضع الاصلاح المنشود ليقدم الى البرلمان في الدورة المقبلة ـ ولما كنت قد درست الازهر والمعاهد الدينية مدة ربع قرن وبحثت عن عللها وأمراضها بحثاً مستفيضاً مستقصياً فعلمت داءها الدوي ودواءها الناجع وكنت أترقب الوقت الذي [illegible] الأمر الى إصلاح الازهر والمعاهد الدينية إصلاحا جديا ورأيت الفرصة قد سنحت الآن لاظهار أولي الامر رغبتهم في ذلك الاصلاح وفي تعيين لجنة لوضعه أردت أن أعرض على أولي الامر إجمال الاصلاح الذي رأيته بعد جهود بذلتها ، ومشقات عانيتها ، وأن أضع بين أيديهم القواعد الكلية التي ينبني عليها ذلك الاصلاح ، فان رأوا فيه غناء ورأوه جديراً بأن يرضي حاجات الامة التواقة الى النهوض من إصلاح الازهر فصلت ما أجملته وأوضحت ما اختصرته وشرحته شرحا وافياً مبينا

وسأقصر بحثي هنا على الاصلاح العلمي ، أما الاصلاح الاداري فقد تركته لمن هم أمس به مني ، وها نذا آخذ في إجمال الاصلاح الذي أراه :

هـذا الاصلاح الذي نقترحه على أولي الامر ونجمله هنا ونأخذ على عاتقنا بسط القول فيه وتفنيده قد نظر الى تطورات العلوم فرآها في طور عظمتها وارتقائها ورآها في طور ضعفها وإسفافها . ورآها حينا كانت مصاحبة لقوم أعزة فقويت بقوتهم ، وحينا صارت مع قوم آخرين أذهانهم كالملحة لا ينبع فيها شيء

إلا أماته ملحاً فضعفت بضعفهم ، تبعث العلم الحي في طوره الحي من مرقده ، ويرمس تلك الرسوم الميتة البالية التي هي حثالة الاذهان الجامدة وغثاثة الافكار المتبلدة .

هذا الاصلاح خبير ، وجريء ، وحكيم : أما خبرته فلأنه ساير الدين في أطواره المختلفة فرآه وهو في جدته ونضرته في الصدر الاول حينما كان مبعث العظمة والمجد والسعادة لمن يدينون به ، ورآه وقد أدخلت عليه البدع وغيّر فيه كثير من رسومه وتواضع الناس على رسوم وأوضاع أدخلوها في الدين على أنها من الدين ، ونظر الى تاريخ العقائد والنحل المختلفة والفرق الاسلامية المتباينة ورأى ما عند بعضها من حق ونافع ، وباطل وضار .

وأما أنه جريء ، فلأنه سيعمد الى تلك الاوضاع والزوائد والبدع والخرافات التي حشرت في الدين وليست منه ويرد للدين قواعده ويهدم ما شادوا عليها ويحل محلها تلك المبادي العلوية السامية ، ويعود بالدين الى عهده السابق ، ويجعله يضحي كما كان نوراً وسعادة ورحمة للعالمين ، ويأخذ من الفرق الاسلامية أيا كانت خيارها ونافعها ، وينفي باطلها وضارها

وأما أنه حكيم فلأنه لا يغير فجأة ولا يقسر الناس على تعاليمه وإنما يغير تدريجاً ، ولا يغير شيئاً إلا بعد أن تقوم الحجة على صحته ووجوبه وقبول الجمهور له ، فإن الاصلاح بالرفق والاناة خير وأجدى منه بالعنف والشدة وأدعى الى الطمأنينة والسلام . وبذلك تصبح مصر الامام المقتدى به في الشرق والعلمة للثقافة الاسلامية

وسيكون الاصلاح مبنياً على قاعدتين : أولاهما ان العلوم لم يفرغ من تمامها ولم تبلغ الكمال المرجو لها ، وانما هي سائرة نحو التطور والكمال أمامها لا وراءها ثانيتهما ان الاخلاق والشرائع والاديان والعقائد والعلوم وكل ما في الكون جعلت لمصلحة البشر وسعادته وعظمة الانسانية وعزتها

هذا الاصلاح ليس إصلاحا للمعاهد الدينية فحسب وانما هو انقلاب اجتماعي خطير له فائدته وخطره في الحياة الاجتماعية المصرية خصوصا ، والحياة الاسلامية عموما . ذلك أنه نظر الى أمم الشرق والى أمم الغرب فوجد الاولى أمما اتكالية ، ووجد الثانية أمما استقلالية . وجد الاولى وانية قليلة الأمل في الحياة ترضى

الامر) وقد ظاهر النبي ﷺ بين درعين

وأما مخالفتها العقل فلان العقلاء مازالوا يوصون بالادخار وكسب المال والاخذ في الاسباب، ويقولون: لا عقل كالتدبير . ويطلبون أن ينظر المرء في الامور ببصر وينفذ البصر بالعزم بعد التثبت في مواضع الرجاء والخوف .

وأما انها مذلة للأمة فلأنها تدعوها الى الاخلاد والعجز والتواني وطرح الاسباب فتضعف وتهن ويستولي عليها الاقوياء المستعدون المخالطون الذين عرفوا الأسباب واستعملوها ولم يهملوها . هذه العقيدة توارثها الأحفاد عن الآباء وذاعت في الامة ذيوعا عظيما حتى نطقت بها أشعارهم، ودارت في أمثالهم، وسيعنى الاصلاح بتطهير الامة منها ومن أمثالها فليست هي الأولى والاخيرة، وإنما هناك عقائد أخرى لها ما لهذه من الضرر وإنما سبيلنا هنا أن نمثل ولا نستقصي

ان الغاية التي يرمي اليها ذلك الاصلاح ويسعى لتحقيقها ترتيب الاسباب لادراكها هي:

أولا: تخريج علماء مجتهدين أو على الأقل متبعين [illegible] من المجتهد بعد قيام الدليل عندهم على صحة قول المجتهد [illegible] الاتباع لا عن تقليد كما هو الآن، لأنه قد اتفقت كلمة الأولين على منع حكم المقلد، وفساد التقليد في الحكم والافتاء، وقالوا ان التقليد مرتبة العوام لا من نصب نفسه للقضاء والفتياء وقالوا لا فرق بين بهيمة تقاد وانسان يقلد

ثانيا: تخريج معلمين ذوي كفاية لتعليم اللغة العربية والدين والاجتهاد في أن يكون معلم الدين متحليا بمكارمه، واقفا عند منهياته، متبعا أوامره، ليقتدى به وتحسن الاسوة، وأن يكون معلم اللغة العربية قد اكتسب ملكة الخطابة والكتابة باللغة العربية البليغة ليكسب تلاميذه هذه الملكة بمحادثته اياهم ومحاورته لهم، ويكون تعليمهم اللغة عمليا وعلميا لا علميا فقط، وبتوالي الزمن على ذلك ترقى لغة التكلم إلى لغة الكتابة فيسهل انتفاع العامة من لغة الكتابة

ثالثا: تخريج وعاظ ومرشدين عارفين بسياسة المدينة والمنزل وما به تسعد المدينة والمنزل، وبطباع الجمهور، عارفين بوسائل الاقناع قادرين على الاقناع فيما فيه سعادة المدنيين، فيضبطوا المدنيين بالاقاويل الخطابية ويحملوهم على ما فيه

سعادتهم وأمامهم - لا كما هم الآن يقلدون في الخطابة فيأتون بخطب قيلت في عصور التأخر والانحطاط ليس لها غرض الا التزهيد في الدنيا والكف عن الجهاد فيها

رابعا: جعل رجال الدين مسؤولين عن الحياة الخلقية في مصر فكما ان مصلحة الصحة مسؤولة عن صحة أجسام من في مصر كذلك رجال الدين مسؤولون عن صحة أخلاقهم والقيام عليها ، فيعدون لان ينشروا في الامة قوة الارادة وصحة العزم وحب الوطن والايثار والتعاون والتضامن وتفهيم المصريين انهم كشخص معنوي كل عضو يعمل لمصلحة الجميع وألم العضو ألم الجميع، وأن يكافحوا الرذيلة الفاتكة بالمجتمع من الحسد والتباغض وانحطاط الهمم وضعف الارادة وحب الذات دون الصالح العام ، وأخيراً هم مسؤلون عن ذلك العامل المسكين الذي يكسب ما يكسب بعرق الجبين فينفقه في الكوكايين والافيون والحشيش والخمر وتلك السموم الضارة والمهلكة . إنه سيغرس في الأزهريين حب الانسانية والمجتمع والتضحية بذواتهم لاجل سعادة المجتمع وبث الفضيلة فيه وتنقيته من الرذيلة وسيقض مضاجعهم الشوق إلى علاج المصابين [illegible] الامراض القتالة والسموم المهلكة من [illegible] والمخدرات وسيقدمون اليهم الدواء الناجع ان جاءوا اليهم فان لم يجيئوا ذهبوا هم اليهم ، وطرقوا عليهم أبوابهم وأماكن لهوهم ليقدموا اليهم الاصلاح . وإنهم بذلك ليكونون منتجين في أمتهم إنتاجا لا تنتجه أية طائفة من الطوائف ، ويقدمون لمجتمعهم يداً لا يقوم بشكرها . فأين منهم حينئذ الاطباء . إن الاطباء يصحون الاجسام أما هؤلاء فيبنون الاخلاق [1] في الامة ويقومون على تربية نفوسها ، وليست الامم إلا بأخلاقها

فبالاخلاق تحكم أمة أمة أخرى وتسخرها كما تسخر الناس الانعام والدواب وهذا الانتاج الذي لا إنتاج بعده وكلما تقدمت الامة ورقيت وعلت قيمة الاخلاق في الوجود عرفت لهم قيمتهم وفضلهم

(١) أنار: وكذا الصحة البدنية فان من يتبع هداية الدين في حظر السكرات والمخدرات والفواحش وفي الطهارة للبدن والثوب والمكان وأشباه ذلك قلما يصابون بالامراض ويحتاجون الى الاطباء، فاتباع الدين أعظم واق من الامراض قبل وقوعها

خامسا: تسليح رجال الدين بالعلم الحق ليتمكنوا من تطهير أمتهم من العقائد التي ورثها الناس عمن تقدمهم والتي هي تخالف الدين وفي الوقت نفسه قاتلة للامة مضعفة لاخلاقها. وأكبر الظن انها كانت أكبر عامل على ضعف الشرق وانحطاطه وارتكاسه في تلك الهوة التي يتخبط فيها الآن

سادسا: اطلاق العقول من أسر التقليد الى فضاء الحرية في الفكر والاستنباط وتعليمها صناعة الانتاج العقلي وخلق حركة علمية ابتكارية في علوم الاخلاق والاجتماع والدين واللغة والعلوم العقلية كالتي كانت في أزهى العصور السابقة كعصر المأمون

هذا إصلاح نتيجة درس وبحث قرن خمس وعشرين سنة مع الاناة والتثبت ودقة الملاحظة والاستقلال في الرأي والحرية في الفكر . هذا علم لا يعلمه إلا من توافر عليه وتهيأت له أسبابه . ان أولي الامر إذا أرادوا إصلاحا كهذا فانه يقتضيهم ما شاء الله من زمن وما شاء الله من جهود وقوى ... بعد ذلك ينقطعون دونه

إن في أعناقنا لامتنا أمانة ثقيلة هي بعثها ببعث أسباب الحياة والمجد فيها . وقد حملنا القدر هذه الأمانة بما عرفنا من أسباب ضعفها والأسباب التي تحيا عليها وان ظهورنا لتنوء تحتها ولا تكاد تستقل بحمل ولأولي الأمر أن يعينونا حتى نستقل بها ونؤديها كما وجبت

محمد عرفه — أستاذ بمعهد الاسكندرية

المنار] يوافق الاستاذ الى هذه الاصول الاصلاحية وقد أكثر من الكتابة فيها بعد أن أشرنا اليها في مقاصد المنار وموضوع دعوته في فاتحة العدد الاول الذي صدر في شوال سنة ١٣١٥

نظرة عامة في حالة الاسلام

(مقالة المرحوم مصطفى بك نجيب الذي كان من أشهر كتاب المسلمين في مصر أرسلها الى المنار مشابعة له على خطته منذ أكثر من ربع قرن فلم ننشرها يومئذ لكثرة لحنها وخجلنا من الافتيات على صاحبها بتصحيحها بدون إذنه، ثم ضلت بين الاوراق حتى عثرنا عليها في هذه الايام فرأينا الحاجة اليها كما كانت أو أشد مما كانت سنة كتابتها فصححنا أكثر غلطها ونشرناها وهذا نصها)

من الأمور التي يحار فيها لب المدققين في الامور الاجتماعية والذين لهم إلمام بعلوم التاريخ وأسباب تقدم الأمم أن يرى الاسلام في درجة الشقاء التي أصبح

بها وهذه الحالة التي عليها الأمم المختلفة المتدينون بالدين الحنيف قد استلفتت أنظار كل المجتهدين في أسباب تقدم وارتقاء سعادة الأمم ومن جهة أخرى قد شمتت أعداء الاسلام لأنهم جعلوا ذلك حجة قوية يحتجون بها على ان الدين الحنيف هو دين الهمجية والانحطاط وقد كذبوا في زعمهم ولكن المقادير لم تساعد المسلمين في الارتقاء والارتفاع ولا يسند هذا الى الاسلام لانه بريء من كل ما يسند اليه من الخزعبلات والتعصب الاعمى

ولو نظرنا نظرة عامة في أحوال المسلمين لوجدناهم في أسوأ حال لأنهم تركوا فضائل ما يأمرهم به دينهم القويم واتخذوا الكسل عادة والخرافات طبعاً غريزياً، مع ان القرآن الشريف يأمرهم بالاجتهاد والعمل، ويرغبهم في الكسب والارتزاق، وأن يسعوا في الأرض من مشارقها لمغاربها ليتحصلوا على الفوائد والمنافع التي تعلي شأنهم وتنمي ثروتهم

يتأسف المسلم الغيور أن يرى ما آلت إليه أحوال المسلمين من (ضلال عن) سواء السبيل، فقد [illegible] الافراد و[illegible] بين الدين وعظيم مع انهم لو ساروا على مبدأ الدين الاسلامي لاستولوا على العز الرفيع والسؤدد الجليل، ولكن أين ذلك، وقد ضربت على أفئدتهم غشاوة من الجهل وتركوا لأنفسهم مسلك الغباوة حتى حادوا عن الفضائل، وتشبثوا بالرذائل، ومع ذلك تراهم مصممين على ما هم عليه قاعدون، واليه متجهون؟ أما آنت لهم الفرصة؟ ألم يستفيدوا من الدروس المدهشة التي يرونها اليوم بعد الآخر؟ ألم تعلمهم الأحوال كيف المآل؟ فقد انتهز الاجنبي فرصة نومنا وتداخل في أمورنا، ورمانا بعدم الكفاءة والأهلية للعمل، هل بعد ذلك احتقار؟ كيف تكون أحوال المسلمين وقد أمسوا مستعبدين بالأجانب لا يملكون لنفسهم حرية ولا يمكنهم أن يجعلوا لدينهم صفة ولا شأنا بين الأديان؟ أين العلماء المجتهدون منهم الذين يهبون أنفسهم للتعليم ويرغبون في تهذيب أخلاق إخوانهم المفتقرين لتنبيههم عن غفلتهم؟ لا غيرة عندهم، ولا نفس ترغبهم في العمل للمنفعة العامة،

سمعت من سائح سألته عن حالة المسلمين في جاوه وسوماطرة: فجاوبني انهم في

أتعس عيش وأحط حالة، ولا يسوغ لهم أن يجتمعوا في اجتماعات، ولا تأذن لهم الحكومة ببناء مساجد وجوامع يقيمون بها الصلاة، حتى مدائنهم خالية من كل ما يقام فيه شعائر العبادات الدينية الاسلامية، وإذا وجد شيء من هذا القبيل فيمكن العثور عليه صدفة في القرى، فالمسجد يكون مركبا من أكواخ حقيرة تقام فيه بعض الفروض، ولا يسمح لنا كي هذه الجزر بشيء سوى الضروري جداً مع أنهم ملايين عديدة يسكنون هذه البقاع الخصبة والتي لا ينقصها إلا العلم والانتظام في سلك المدنية، كل ذلك حاصل والمسلمون في غفلة شديدة لا يحركون ساكنا ولا يرفعون صوتا، فهل هذا ما يأمرهم به دينهم السديد؟

هل يأمرهم بالذل والمسكنة؟ كلا ثم كلا

وهذا مثل من الأمثال التي يصادفها الانسان بنفسه في حياة الأمم الاسلاميه وإذا قلنا ان هذا الضعف ناتج من الضغط على الافراد وعدم تمكنهم من حكم أنفسهم بأنفسهم فتلك أمثلة متوفرة تشاهد بالعين وتراه، وإذا لم نرها فقد سمعنا عن أخبارها. فعدد الممالك الاسلامية [illegible] حالهم أسوأ وأردأ من غيرهم: لا نظام لحكوماتهم ولا مبدأ لهم [illegible] إلا الاستبداد والظلم، حتى ان هذه الأسباب تجعل بابا للتداخل الاجنبي كما هو مشاهد الآن بمراكش وغيرها من الممالك الأسيوية الاسلامية المستقلة

ما الذي ينتظر من هذه الأمم ما دامت على هذه الحالة من الضعف؟ هل يؤمل منهم خير بعد أن سلموا أرواحهم وبلادهم للأجانب وبعد أن سيطر هؤلاء عليهم وأخذوا زمام أعمالهم في قبضتهم؟

أرى انه ما دام أمراء المسلمين لاهين في شهواتهم ولذاتهم، متعدين عن كل ما يجلب السعادة لشعبهم، غير مبالين إلا بمنافعهم الشخصية ومزاياهم النفسانية، فذلك ما يجلب الدمار ويورث الضياع، لأن الملك إذا ترك لنفسه العنان وانقاد إلى أهوائه ضاع وضيع من هو عليهم سلطان، فمن المحال أن يحرم الاسلام من الأمراء العاملين لنفعه الساعين في مصلحته واعلاء كلمته. وإني أرى أن السلطان العادل أو الأمير العارف يفيد المسلمين كثيرا ويصلح شأنهم لأنهم يعدون

ان الحاكم عليه صلاح الرعية، وبفساده تفسد البرية ، وقد رسخ ذلك في أوهامهم بدرجة غريبة لأنهم تعودوا ذلك من قديم مع ان ذلك لم يكن إلا بدعة من البدع التي أضاعتهم وهضمت حقوقهم ، لأنهم إذا طالبوا الحكام بواجباتهم لم يستطيعوا أن يفعلوا مثل ما يفعلون معهم ، ويستبدون مثل ما يستبدون ، ويجحفوا بحقوقهم مثل ما هم عليه قانون

هذا ومن جهة أخرى نرى ان المسلمين أصبحوا في حالة تأخير من جهة الفكر والتصور لأنهم امتلئوا الخرافات وزودوا عقولهم بأفكار سخيفة وتركوا الأصول الحقيقية فلذلك أثرت في حياتهم ووجودهم هذه الاعتقادات المأخوذة عن محض الجهل حتى صارت لهم عادة مأثورة و قياما مألوفا مع ان ذلك مخالف لنصوص الشرع علي خط مستقيم

نرى أيضاً ان المسلمين منقسمون بينهم لا تربطهم محبة ولا تجمعهم ألفة ولا جامعة لأنهم أصبحوا متحزبين ولا يخفى ان [illegible] والاستبداد يذهبان ما في الانسان من [illegible] وخصوصاً إذا جعل هذا الأمر عادة فيصير كأنه مخلوق لهذه الحالة . فلهذه الأسباب لا تجد المسلمين جامعة واحدة حتى إنك ترى في البلد الواحدة فتوراً بين الأهل والافراد وقد نسوا كل النصائح الحكيمة التي أتى بها القرآن الشريف من الآيات البينات في الاتحاد (سنشد عضدك بأخيك) (إنما المؤمنون إخوة) إلى آخر تلك الآيات البينات

ومن الحديث الشريف ما يغني عن البيان ويفصح عن المقصود في مثل هذا الموضوع

وأما من يسمون بالعلماء فهم في حالة تأخر وانحطاط فهم يرمون وراء ظهورهم وينبذون نبذ النوى كل المبادىء الحديثة من العلوم ويكفرون من اتبعها زعماً أن ذلك مخالف للشريعة السمحة ولو تصوروا قليلا لعرفوا تماما سوء فهمهم وقلة ادراكهم

٣٠ اغسطس سنة ٩٠٥ مصطفى نجيب

كتاب الصحة لمهاتما غاندي

كلمة المترجم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، وخاتم النبيين ، محمد وآله وصحبه الهادين المهديين

(وبعد) فاني أقدم هذا الكتاب الصغير في حجمه، الكبير في معناه، إلى الأمة العربية في لغتها الشريفة التي لها فضل كبير علي وعلى العالمين . وقد خصصت مجلة « المنار » الغراء بنشر هذه الترجمة لما لها من الأيادي البيضاء في الاصلاح الاجتماعي والديني ، وما لصاحبها من المنة الكبيرة علي بتثقيفي وتربيتي ، إذ أنا تلميذه ومريده ، وتشرفت بالمثول بين يديه سنين عديدة

ترجمت الكتاب إلى العربية بعد أن استأذنت مصنفه مهاتما غاندي[1] فاستحسن فكرتي [illegible] فقال « إني أحب العرب وأحترمهم، وأنتظر منهم أعمالا عظيمة لخير الشرق والانسانية ، وأرغب في عرض أفكاري عليهم »

فقلت له « ولكن العرب فطروا على عيشة تصدهم أن يأخذوا ببعض أفكارك التي بسطتها في الكتاب ، بل ربما يستهزئون بها »

فقال « لا عجب ان فعلوا ذلك . إني لا أنتظر من جميع الناس ان يقبلوا كل ما أقول . وظيفتي أن أقول ، لا ان أكره الناس على اتباعي »

(١) « مهاتما » معناه في اللغة السنسكريتية « الروح الأكبر » لقب غاندي بهذا اللقب لان قومه يعتقدون بعظم روحانيته .

ألف مهاتما غاندي كتابه هذا وهو ليس بطبيب، وترجمته أنا ولست بطبيب. أراد غاندي بتأليفه ان يخدم الناس بما جربه بنفسه من قواعد الصحة. وأردت أنا بترجمته ان أخدم الناطقين بالضاد بما قرأته ولم أجربه بنفسي قط. فغرضي من هذه الترجمة ليس دعوة الناس الى العمل بكل ماجاء في هذا الكتاب؛ لاني لا أجزم بصحة كل ما جاء فيه. بل انما غرضي الاخبار بما قاله في مسألة الصحة هذا الزعيم السياسي والمصلح الاجتماعي والقائد الديني في القارة الهندية، والذي يحسب كثير من الاوربيين والامريكان — وفيهم عدد من القسيسين — أنه مسيح جديد، جاء ليجدد تعاليم المسيح القديم؛ وأقواله مهما تبدو غريبة، وأفكاره مهما تظهر شاذة تستحق الاعتبار والتأمل على كل حال.

ان من سوء حظ الشرق أنه لم يفقد استقلاله السياسي فحسب، بل قد فقد استقلاله الفكري أيضاً، ولذلك تراه يقلد الغرب في كل شيء، حتى إنه أصبح لا يفكر في نفسه ولا يقيم للاشياء وزناً ولا يميز بين الحق والباطل، بل لا يزال نظره الى الغرب فان رآه يقول لشيء إنه حق، قال هذا أيضاً إنه حق وبالعكس.

أنا لا أكره الغرب ولا أنكر فضله في العلم والمدنية ولا أحرم الاقتباس والاستفادة منه. ولكن الذي أقبحه وأشمئز منه هو الاستعباد الفكري للغرب. لان هذا الاستعباد اذا تمكن من نفوسنا لن نسترد حريتنا السياسية المغصوبة، ولن نجدد أسس قوميتنا المتهدمة.

أقول هذا لأني أخشى أن ينبذ فريق من القراء هذا الكتاب قبل أن يطلع عليه، لا لانه يستحق النبذ، بل لانه جاء من مصدر شرقي بحت، فيحسبه سخافة شرقية. فلذلك أرجو من هو على هذه الشاكلة أن

يتمهل في الحكم عليه ليقرأه بامعان ، فان لم يعجبه فليرمه ان شاء . واني تطمينا لهؤلاء أقول ان هذه الآراء ليست خاصة بغاندي وحده ، بل هنالك في أوربا وأمريكا أيضا ثورة كبيرة على الطب وأساليبه وأدويته . بل ان تقدم العلوم قد أخذ يهدم أركان هذا الطب الذي نسميه «الحديث» ويسمونه هنالك « القديم » .

ان مهاتما غاندي — وان لم يكن طبيبا — مهتم بمسألة الصحة اهتماما كبيرا ، ذلك دأبه من نعومة أظفاره . وكتب ما كتب بعد أن جربه بنفسه على نفسه سنين طويلة ، وهو لا يزال متمسكا بكل ماقاله وعاملا به بكل دقة وشدة.

يعلم اهتمام غاندي بمسألة الصحة من كتاباته وخطبه الكثيرة فيها . وقد صرح مرارا بأنه لو لم يقدر له أن يكون سياسيا ومصلحا اجتماعيا ، لكان كناسا في بلده ، ينظف المراحيض ويزيل القاذورات من البيوت ، ليعيش الناس بالصحة والعافية .

وقد سمعت ممن شهد المؤتمر الوطني سنة ١٩٢١ في بلدة أحمد آباد مقر غاندي ـ ولم أستطع الاشتراك فيه لاني كنت يومئذ مسجونا ـ أن مهاتما غاندي كان ينظف المباول وبيوت الخلاء بنفسه ومعه تلاميذ مدرسته. مع انا نعلم ان هذا المؤتمر كان عظيما جداً اجتمع فيه اكثر من نصف مليون نفس.

وقد يتعجب الذين بهرتهم المدنية الغربية ، وغرتهم أبهة الزعامة الوطنية ، كيف يقوم هذا الزعيم الجليل بهذا العمل القذر ؟ هؤلاء يتعجبون لانهم لم يعرفوا هذه الشخصية العجيبة النادرة : شخصية مهاتما غاندي . ان هذا الرجل ـ وان ظهر ونبغ في القرن العشرين ـ يضرب لابناء هذا العصر في نفسه مثل بوذا وكنفوشش وغيرهما من المصلحين وقادة البشر في العصور الغابرة

الذين أسسوا دعوتهم على مكارم الاخلاق وحب الانسانية والعيشة الساذجة والروحانية النقية والثقة التامة بذات الله العلي الكبير والتوكل عليه .

ان هذا الزعيم كذلك يدعو الناس الى المعيشة الفطرية الساذجة ونبذ البذخ والترف، والى التخلق بالاخلاق الفاضلة ، والمحبة الشاملة العامة ، والتمسك بجميع ما في الاديان من الخير والتقوى وخشية الله والرأفة بالبشر .

ليت شعري كيف كان يكون عجب المترين بالمدنية الغربية اذا رأوا هذا الزعيم الهندي بأعينهم! انهم ليرونه عارياً، حافياً، حاسراً ، قد تجرد من الملابس قائلا (لا يصح لي أن أتجمل بالملابس والملايين الكثيرة من بني جلدتي لايجدون مايسترون به عوراتهم ويقون أجسادهم من الحر والبرد) فتراه الآن متجرداً ليس على جسده لباس الا إزار صغير يستر به عورته !

وكذلك نراه [illegible] كل [illegible] واللذات والاطعمة الشائقة . ليس ذلك لأنه يرى رأي المتقشفين الجهال الذين يحرمون أنفسهم من الطيبات ويحسبون ذلك قربة الى الله . بل يرى ذلك مضراً بالصحة البدنية والعقلية . فلذلك نراه لا يأكل الملح ولا اللحم ولا العدس ولا الحبوب. ماعدا خبز القمح نادراً . وقد حصر غذاءه في الفواكه وهو يكثر من أكل البرتقال والموز ويفضلهما على غيرهما من الفواكه .

وقد أخبرني عن سبب تركه الملح فقال :

مرضت زوجتي في أفريقية الجنوبية (وكان يشتغل هنالك بالمحاماة) مرضاً شديداً فداويتها أولا بنفسي فلم ينفعها شيء . فراجعت أحد الاطباء وأدخلتها في مستشفاه الخصوصي ، فأمرها أن تترك أكل الملح والعدس فغضبت من نصحه وأبت امتثاله فغضب الطبيب أيضاً ، وكان حديد المزاج قاسياً فدعاني

في نصف الليل وقال إن زوجتك عصت أمري، فأنا لا أعالجها بل لا أسمح لها بالبقاء عندي دقيقة واحدة، فاذهب بها حيث تشاء حالاً بدون أدنى تأخير!

قال مهاتما غاندي فتحيرت في أمري ورجوت الطبيب أن يسمح لها بالبقاء الى الصباح ولكنه أبى ذلك وأصر على أمره، فاضطررت أن أخرج زوجي في تلك الساعة من الليل اليوم البارد وأحملها على ظهري مسافة ١٥ ميلاً حيث كان مقامي!

« فلما وصلت بها الى البيت، قلت لها بئس ما فعلت. إنك لا تشفين الا باتباع نصح الطبيب. يجب أن تتركي أكل العدس والملح والاثنين، فقالت ان الامتناع عن العدس سهل، ولكن الملح لا أستطيع تركه وان مت بسببه، ولو كنت أنت في مكاني لما [illegible] تركه! فقلت تقولين ذلك! فها أنا ذا أترك الملح [illegible] فلما سمعت ذلك أخذت تبكي وتعتذر من قولها. ولكني هدأت روعها وقلت لها لا بأس عليك. لم أقل ذلك لأني غضبت من قولك، بل انما أعمل ذلك لتتشجعي أنت في مكانك فيسهل عليك ترك الملح »

قال « فلما مضت السنة ورأيت فوائد ترك الملح، ما عدت اليه الى الآن» أما صحته - جسمه نحيف جداً، لا يتجاوز ثقله أكثر من ١٠٤ أرطال (Pound) ولكنه يرى نفسه أصح الناس جسداً ويقول ان الرطوبات والشحم الزائد والفضلات التي لا احتياج اليها قد خرجت من جسمي وأصبحت قوياً بكل معنى الكلمة.

وكلامه هذا ليس جزافاً لانه يقوم بأعمال قد يعجز عنها الرجال الاشداء. فهو يحرر ثلاث جرائد أسبوعية وهي تصدر في أوقاتها المعينة

بدون أن يحدث فيها أي خلل . ونحن نعلم أنه يشتغل بالاشغال العقلية ١٦ ساعة كل يوم ومع ذلك لايشعر بالتعب . وكذلك نراه من سنين كثيرة في السفر ، لايستقر في مكان ، يدور من بلد الى بلد ، يخطب مرات عديدة في يوم واحد ويقابل ألوفاً من الناس .

وأكبر دليل على قوته أنه صام أربعين يوماً متتابعة لم يذق فيها أي شيء . ومع ذلك لاأغمي عليه ولا أحس بضعف ، بل ما زال يكتب للجرائد المقالات ويغزل كل يوم من القطن المقدار الذي قرره لنفسه . ومن أعجب ما رأيناه أنه بينما كان ثقله قد قل كثيراً في الاسبوع الاول من الصوم حتى خافوا على نفسه ، أخذ يزداد وزناً مدة [illegible] الاطباء في تعليل ذلك .

ثم انه فوق ذلك قد ملك زمام نفسه ، فيعيش كما قرر لنفسه ان يعيش . فلا ينام الا القدر الذي [illegible] بانتظام تام ، بدون أن يطرأ عليه أي خلل ، ثم انه لا يغضب أبداً ولا يستعجل ولا يفزع ، بل يبقى دائماً هادئاً مطمئناً كأنه مالك نفسه سخرها فأصبحت له أطوع من بنانه .

ومن عجيب أمره أنه يعيش مع زوجته ولكنه يحسبها كأخته او امه كما اشار في هذا الكتاب ، وكما صرح في احدى خطبه هذه الايام فقال « أنا وزوجتي قد اتفقنا على أن نعيش كالاخ والاخت أو كالابن والاب أو البنت والام . فأنا لها كأب وهي لي كأم »

وكلامه هذا لا يرتاب فيه . لان عيشته مفتوحة وليست بسر . وهو لايكذب أبداً مهما اضطرته الاحوال .

فيعلم من كل هذا أن صاحب هذا الكتاب ، وان لم يكن طبيبا قد عرف أسرار الصحة وجربها في نفسه فأصبح رجلا غير عادي في

صحته الجسدية وصحته العقلية . وقد قدم في نفسه نموذج الرجل الصحيح تام الصحة . وأودع تلك الأسرار في هذا الكتيب ليجربها الآخرون فان وجدوها خيراً تمسكوا بها والا ضربوا بها عرض الحائط

هذا ما أردت أن أقوله للقراء قبل أن يطلعوا على الصفحات الآتية: الا أنه بقي عليَّ أن أشكر صديقي ورفيقي في الدرس حضرة الاستاذ الشيخ عبد العزيز الميتي من أهل نجد الذي ساعدني في تقويم عبارة الترجمة ، فأشكره شكراً جزيلا وأسأل الله سبحانه وتعالى أن يأخذ بيده ويعد له السبيل لخدمة شعبه ، الذي كنت أعهده متفانياً في حبه . والحمد لله أولا وآخرا عبد الرزاق المليح آبادي

« المنار » لما عرض علينا ولدنا الروحي الفاضل الخادم لملته وأمته الاسلامية ترجمه لهذا الكتاب النفيس [illegible] أن [illegible] في أجزاء المنار ليستفيد منه قراؤه الاعلام [illegible] أجسامهم وسلامة أرواحهم [illegible] جميع ما قاله الاطباء أنه يعني بالامرين معا ، ولعمري ان حاجة البشر الى صحة أرواحهم أشد كما ان تفريطهم فيها أعم ، ولنا على قول المترجم ان المؤلف غير طبيب ان الطب الصحيح ما صدقته التجارب وكان مستنبطا منها ، وهو صادق في خبره عن تجاربه الا انه لا بد من تكرار التجربة، وأن يراعى فيها اختلاف الاحوال والامزجة،وكذلك صفات الانفس وقواها فان المؤلف ذو ارادة قوية هي الركن الاعظم لعظمته التي ساد فيها قومه وأصبح زعيمهم الاكبر في دينهم ودنياهم باستحقاق وهي مع الذكاء والبصيرة ركن لصحته الجسدية أيضا . ومثله في استقلال عقله وكبر همته وعقائد ملته لا يخلو من شذوذ ذاتي ومخالفة دينية لكثير من الناس.وقد علقنا في حواشي الكتاب على أهم ما شذ به في نظرنا.وانا نشكر له بلسان أمتنا الاسلامية عنايته بالتأليف بين مسلمي الهند وهندوسها وفاقا لرأينا ونشكر له أيضا ثناءه على أمتنا العربية وحسن أمله فيها وقد قال نبينا (ص) « من لم يشكر الناس لم يشكر الله عز وجل »

مناظرة في مسألة القبور والمشاهد

(٦)

﴿ الرد على رسالة العلم الشيعي ، للاستاذ الشيخ محمد عبدالقادر الهلالي ﴾

(وهو عالم سلفي مستقل لايتعصب لمذهب من المذاهب المقلدة)

﴿المقام السابع والعشرون﴾ قوله ومن جاء بعدهم قوم لم يتدبروا معاني الحديث ولم يتفطنوا لما عليه اسلافهم فشددوا النكير على تشييد القباب والبناآت حول القبور زعماً منهم أنهم فهموا من الاحاديث مالم يفهمه الأولون الراسخون في العلم وأنهم وصلوا الى مالم يصل اليه أئمة المسلمين وهيهات ذلك

أقول وددت أن هذه المبالغة القبيحة لم تصدر من السيد مهدي ـ والمقدر كائن ـ [illegible] عن عكس القضية فناشدتك الله الذي هو عند لسان كل قائل من أحق بهذا الكلام في الاستدراك على السلف والحكم عليهم بالجهل والرغبة عن الخير وعدم الفطنة لفضيلة بناء القباب مع أنهم زعموا أنها من أعظم القربات . الذين ابتدعوا بناء القباب وزخرفها وزينوا للغافلين الجاهلين الغلو فيها ولم ينصحوهم حتى وقعوا في الكفر البواح وعصوا الرسول وضربوا بنصوصه المستفيضة عرض الحائط وجاءوا بموبقة لم تخطر ببال أحد من السلف سلف جميع الطوائف فضلا عن ان يقولوا بها بل اجمعوا على تركها . ولو كانت خيراً ما قصر عنها السلف وسبق اليها الخلف ، أم الذين تلوا نصوص نبيهم فقالوا سمعنا وأطعنا وأجروها على ظواهر دلالتها بلا تأويل ولا تحريف ولا تعسف وفهموا منها ما فهمه الاسلاف فانتهوا عما نهيتهم عنه كما انتهى سلفهم

فوافقوا السلف علما وفهما وعملا ولم يبتدعوا بعدهم مثقال ذرة فهذه أقوال الرسول (ص) وأقوال السلف وأفعالهم وفيها هدم ما يبنى على القبر وتركهم ومنها ترك بناء القباب وغيرها على القبور كلها مع المانعين من القباب وليس مع المجيزين لها حرف واحد عن الرسول ولا لهم سلف به في بدعتهم البتة الا من هو مثلهم أو قريب منهم أو زلة صدرت من غير معصوم ثم إن النبي (ص) ما كان يحدث الناس بالاغاليط حتى تلتبس أحاديثه على الافكار وتتضارب فيها الافهام وكيف وهو أفصح الفصحاء وأقدرهم على ايصال مراده الى الاذهان السليمة والقلوب البصيرة الطاهرة من البدع بكل سهولة فكل من له أدنى معرفة بلغة العرب ورأى نصوص الباب وتلقاها بقلب سليم من العصبية تبين له كالشمس مراد الرسول فيها بلا كلفة لا يختلف في ذلك اثنان ولا ينتطح فيه عنزان

ثم لو سكت الرسول (ص) عن البناء على القبور وسكت السلف لكان محرما بلاشك لادلة (منها) أنه بدعة وكل بدعة ضلالة على لسان محمد (ص) ومنها أنه حدث وقد صح عن النبي (ص) أنه قال «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد» (ومنها) اجماع السلف على تركه (ومنها) أنه باب جهنمي من أبواب الشرك ما قربت عين أبليس بمثله وما ولجه أحد الا ارتطم في قعر هاوية الكفر كما هو مشاهد بالعيان ولا يحتاج الى اقامة برهان (ومنها) اتفاق العقلاء الا من تغيرت فطرته على استقباحه وأنه عبث تصان منه أفعال العقلاء (ومنها) أنه من سنن المشركين وقد أمرنا بمخالفتها الى غير ذلك

(المقام الثامن والعشرون) قوله. مع ان هؤلاء ليس لهم ان يجتهدوا

لو كانت لهم اهلية الاجتهاد في استنباط الاحكام الشرعية ومعرفة الحلال والحرام بعد تقرر اجماع أهل السنة على وجوب التقليد والاخذ بقول احد الائمة الاربعة (١).

اقول لقد حجرت واسعا وما انصفت علماء أهل السنة اذ أبحت لنفسك ولعلماء فرقتك الاجتهاد وحظرته عليهم ولا ادري لم فعلت ذلك؟ أظننت ان جمهور علماء المسلمين من أول المائة الرابعة الى اليوم ما وجد فيهم احد يعرف حكم الله ويقوم بحجته؟ إني لا ربأ بك عن تصور هذا فضلا عن تصديقه وما المانع لهم من الاجتهاد بعد التبحر في علوم الشريعة والتضلع من موارد أدوات الاجتهاد؟ وهل منعهم من الاجتهاد بعد ذلك الا تحكم محض وتلك اذا قسمة ضيزى؟ ولو فرضنا أن علوم الاجتهاد امحت ودرست معالمها عند جميع المسلمين ما عدا الشيعة ما جاز على علماء أهل السنة أن يقتنعوا بالجهل في تلك القرون المديدة. وليس بعزيز عليهم أن يرحلوا الى علماء الشيعة من جميع الاقطار ويتلقوا عنهم من العلم ما يؤهلهم لمعرفة الحلال والحرام بالدليل وذلك أهون عليهم من درس فلسفة اليونان والتبحر فيها واستنباط العلوم الرياضية الدقيقة كعلم الجبر والمقابلة ودقائق الهندسة وعلم النحو وغيرها

«١» سبب هذه الفرية على أهل السنة ان بعض المقلدين الذين يعتقد الاجماع باتفاق أمثالهم قالوا ولم يوافقهم سائر علماء عصرهم بوجوب تقليد الجمهور ولا سيما الحكام لبعض المذاهب ابتدعوه وعللوا ذلك بالمصلحة. وهذا ليس باجماع كما زعم الشيعي تعصبا كما ترى في رد مناظره. وانما ذكرت هذا لأقول ان الشيعة يكثرون من التبجح على أهل السنة بزعمهم انهم انفردوا بالقيام بفريضة الاجماع دونهم، وهو زعم مردود بالبداهة فانهم أشد من أهل السنة تعصبا لمذهبهم والاجتهاد في المذهب ضدان لا يجتمعان

وان أمة مضى عليها ألف سنة إلا قليلا وليس فيها أحد يعرف حكم الله بدليله ويقوم لله تعالى بحجته ويحمل ميراث محمد ويبثه في الناس ويدعو الى الله على بصيرة - لفي خسران مبين

وان كنت معترفا بأن علماء أهل السنة يعلمون من علوم الاجتهاد ما يعلمه علماء الشيعة أو أكثر فكيف تختلف النتيجة عن المقدمات الصحيحة ويتجرد الملزوم بلا مانع عن لازمه ؟

وقوله ليس لهم أن يجتهدوا لو كانت لهم أهلية الاجتهاد فيه نفي لاهلية الاجتهاد عنهم وحجره عليهم حتى لو وجدت اهلية وما بعد هذا التحكم!

وقوله في استنباط الاحكام ومعرفة الحلال والحرام ادهى وأمر لانه لم يقتصر على نفي استنباط الاحكام عنهم بل نفى عنهم معرفة الحلال والحرام ويلزم منه أن قضاتهم ومفتيهم [illegible] كانوا يسفكون الدماء ويبيحون الفروج(١) ويتصرفون في الاموال غير عالمين بحلالها وحرامها وأي قدح أعظم من هذا ؟

قوله : بعد تقرر إجماع أهل السنة على وجوب التقليد . (أقول) متى تقرر هذا الاجماع وأين تقرر ومن هم المجمعون ومن هم الناقلون له ؟ فهذه أسئلة أربعة يجب الجواب عنها ، والحق الذي لا شك فيه هو أن علماء أهل السنة مجمعون على تحريم التقليد والقول على الله بلا علم وأجمعوا أيضا على أن التقليد ليس بعلم وأن المقلد ليس بعالم ولا هو من أهل الاجماع فلا يعتد بوفاقه ولا خلافه بل هو بمنزلة الصبيان حكى ذلك ابن عبد البر في كتاب

---

(١) اللزوم في هذين الامرين على اطلاقهما غير مسلم فان تحريمهما من المعلوم من الدين بالضرورة لا بالاجتهاد

العلم وأبو شامة وابن حزم وابن القيم والسيوطي والشوكاني والفلاني ونقلوه عن أئمتهم نقلا يفيد العلم النظري وهذه كتبهم شاهدة بذلك وقد الف في رد التقليد كثير من السلف والخلف قال الامام عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي في كتابه (الرد على من أخلد الى الارض وجهل ان الاجتهاد في كل عصر فرض) في ص ٤٢ ط الجزائر (الباب الثالث) في ذكر من حث على الاجتهاد وامر به وذم التقليد ونهى عنه . اعلم انه مازال السلف والخلف يأمرون بالاجتهاد ويحضون عليه وينهون عن التقليد ويكرهونه ويذمونه وقد صنف جماعة لا يحصون في ذم التقليد فممن صنف في ذلك المزني صاحب الامام الشافعي الف كتاب فساد التقليد نقله عنه ابن عبد البر في كتاب العلم والزركشي في البحر ولم أقف عليه وألف ابن حزم ثلاثة كتب في ابطال التقليد وقفت عليها وألف أبو شامة في ذلك كتابه خطبة الكتاب (المؤمل في الرد الى الامر الاول) وقفت عليه وألف ابن دقيق العيد كتاب (التسديد في ذم التقليد) لم أقف عليه وألف ابن قيم الجوزية كتابا في ذم التقليد وقفت على كراسين منه وألف المجد الفيروزادي صاحب القاموس كتاب الاصعاد الى رتبة الاجتهاد ولم اقف عليه وهذه نصوص العلماء في ذم التقليد اه ثم ذكر اقوال العلماء ومنهم الائمة الاربعة في تحريم التقليد فأين اجماع أهل السنة على جواز التقليد فضلا عن وجوبه ؟ فمن الورع اللائق بالناس عامة وبالعلماء خاصة أن لا يسارعوا الى الحكم في مسألة ولا سيما ان كانت اجنبية عنهم الا بعد تمحيصها

(المقام التاسع والعشرون) قوله وقد فات المنار ومكاتبه ان يطعنا بعتبها على أهل السنة حيث شيدوا بناآت القبور وقبابا منذ أكثر من

تسعمائة سنة ومن المعلوم بالوجدان ان القبور التي شيدها أهل السنة في مكة المكرمة والمدينة المنورة والطائف ومصر والشام والعراق وغيرها من الاقطار أكثر بكثير مما شيده الشيعة

(أقول) لم يفت صاحب المنار انتقاد ماصنعه من ينتسبون الى السنة من بناء القباب وعبادة القبور بل رد عليهم بما لم يرد بمعشار عشره على الشيعة وهو معروف بعدم التعصب والمجاملة والتساهل مالم يفض الى تضييع الواجب وهو مسالم للشيعة متودد اليهم حتى إن جماعتهم بالقاهرة يدعونه لحضور المأتم السنوي فيجيبهم الى الحضور (١) فاذا قيل له في ذلك أجاب بانه ارتكب أخف المفسدتين لان ماينشأ عن عدم اجابتهم من التقاطع والتدابر بين المسلمين اعظم فما [illegible] له اصدقاء كثير من علماء الشيعة ولو [illegible] التعصب للمذاهب والوقوف مع المشارب ولا ادعي فيه العصمة فلا معصوم الا محمد ﷺ

من ذا الذي ما ساء قط ومن له الحسن فقط ؟
غير محمد الذي عليه جبريل هبط
ومن ذا الذي ترضى سجاياه كلها * كفى المرء نبلا ان تعد معايبه

(لها بقيه)

«١» أي في بعض السنين لا دائما

رحلة جلالة ملك الافغان

(أمان الله خان)

توأترت أنباء البرق من أوربا ثم من الهند بعزم صاحب الجلالة أمان الله خان ملك الافغان على القيام برحلة طويلة من بلاده إلى الهند فمصر فأوربا فتركية فروسية ثم تتابعت بشروعه فيها ، ثم بوصوله إلى كراجي فبمباي فابحاره منها الى مصر. وأهم أنبائه في الهند عندنا أنه صلى الجمعة في مسجد بومباي الجامع فاكتظ بعشرات الألوف من المصلين فيه وفي رحبته وفنائه حتى قال مراسل روتر انهم بلغوا خمسين ألفا . وقد التمسوا منه أن يخطب فيهم فخطب خطبة بليغة بالفارسية حثهم فيها على التسامح الديني والاتفاق مع الهندوس ووصاهم باحترام دينهم الوثني ليحترموا هم الاسلام وقد ترجمت الخطبة باللغة الاوردية في المسجد فكان لها تأثير عظيم . ومن أغربها انه ظهر منه هنالك ما استدل به على [illegible] الانكليز.

ولما وصل الى مصر [illegible] بدعوة جلالة ملكهم اياه الى ضيافته الملكية وضيافة حكومته السنية لأنه ملك شرقي قد نالت بلاده استقلالا تاما مطلقا من كل قيد بعد الحرب العالمية الكبرى، التي هدم تأثيرها ممالك وبنى ممالك أخرى، وأخص من ذلك أنه ملك شعب اسلامي وهذه البلاد شرقية اسلامية وقد دخل كل من الشرق والاسلام في طور جديد من تعارف شعوبهما وتآلفهما

وثم سبب ثالث لاهتمام شعبنا المصري بالملك الافغاني وهو أن لقب « الافغاني » مرسوم في القلوب والادمغة من رجال النهضة العصرية في مصر وسائر الشرق وفي كتبها العصرية ومجلاتها العلمية والادبية والدينية وصحفها السياسية بأحرف من النور إذ كان هو اللقب الوطني لمصلح الشرق وموقظه من رقاده وحكيم الاسلام الداعي لاصلاحه [السيد جمال الدين الحسيني الافغاني] الذى كان الاستاذ الامام والزعيم الاكبر للاصلاح الديني والعلمي والاجتماعي أول مريديه وخليفته من بعده ، وكان سعد باشا زغلول الزعيم السياسي الاكبر من أصغر تلاميذه سنا ، وأوائل تلاميذ خليفته وأظهرهم نبوغا، رحمهم الله تعالى

أجمعت الجرائد المصرية على التنويه بآثاره الكريمة ، والضيف العظيم ، وعنيت اليومية منها بنشر أخباره ، وذكر ما عرفت من أقواله وأحواله ، في زياراته للمعاهد العامة من المساجد ودور الآثار العادية والكتب والبرلمان والمدارس العليا ، كقوله في دار الكتب المصرية الكبرى وقد قدمت له صورة السيد جمال الدين « أوه ، هذا رجلنا » وكاستعباره عند رؤية سعد زغلول باشا وعتبه زينب حيا . وكاستقصائه في السؤال عن كل شيء مهم ولا سيما الآثار المصرية ومنهـا السؤال عن سبب معرفتهم اللغتها الهيروغليفية وتعجبه من سماح حكومتهم لخروج (حجر رشيد) المشهور الذي عرفوها منه إلى بلاد أجنبية — والسؤال عن طريقة استخراج الآثار واستقرائه لكون الاخصائيين من الاجانب يتبرعون بالحفر عنها واستخراجها والعناية بحفظها بغير أجر خدمة للعلم وقوله إنه سيسعى ذلك في استخراج آثار بلاده .

وخير ما أعجب به الجمهور من شمائله وآدابه تواضعه حتى لطبقة الخدمة وذكروا من ذلك أن أحد خدم مسجد السلطان حسن قدم له عند ارادة الدخول ذلك الجرموق الذي يلبسه السياح فوق أحذيتهم عند دخول المسجد ، وانحنى ليربطه له على حذائه كالعادة استكبر ذلك وقال : استغفر الله استغفر الله ، وانحنى هو وربطه بيده . وذكروا أيضاً أنه كان يصافح عامة الناس كخاصتهم في حديقة الاسكندرية التي دعاه اليه مجلسها البلدي ثم يضع يده على صدره ورأسه ، ولم يخل وجوده في القاهرة والاسكندرية من أمور تدل على كراهته للانكليز كما ظهر في إلمامه بالهند ، ومثل هذا غير معهود في المعاملات الدولية بين الملوك ورجال الدول الرسميين في الاحوال الودية العادية ، وهو مع هذا يريد زيارتهم في عاصمتهم زيارة رسمية ، ويقال إنه يرغب في التأليف بين دولتهم ودولة الجمهورية التركية ، ويسعى لعقد اتفاق ودي ثلاثي هو الركن الثالث فيه ! !

وقد زرناه مع اخواننا من هيئة مجلس ادارة جمعية الرابطة الشرقية في دار الضيافة فاستقبلنا فيها واقفاً إذ دخل علينا وألقى السلام فصافحنا وصافحناه واحداً بعد واحد ، وكان يعرفه بنا أحدنا ميرزا مهدي بك رفيع مشكي ثم قرأ الرئيس خطاب ترحيب به موقع عليه من الاعضاء تلاه بالعربية - وتلا مهدي بك ترجمته

بالفارسية ، فأجاب جلالته بخطاب وجيز رحب به بالجمعية وأثنى عليها ونصح لها بمثل ما نصح لمسلمي الهند بالتساهل الديني وعدم التعصب بين الملل والطوائف ، وقد علم أن هذا من مقاصد الجمعية وأنه ليس في مصر مثل ما في الهند من التعصب

ثم قدم له الخطابان مع صندوق لها من الفضة منقوش نقشاً صناعياً دقيقاً جميلا من صناعة مصر لهذا العهد — وقدمت له مع ذلك بعض كتبي وكتب شيخنا الاستاذ الامام المختصرة مجلدة بالسندس الاخضر ، وقدم له توفيق بك من أعضاء الجمعية الحاضرين كتاباً شرعياً خطياً وجيزاً أيضاً — فقبل الجميع بالشكر ، ولما انتقل راجعاً أراد حمل هذه الكتب بيده فأخذها منه بعض بطانته — فكان هذا مما عد من تواضعه المطبوع غير المتكلف ، ولكن لم يكن منه استقباله للجماعة وقوفاً وإن كان هو واقفاً أيضاً

وأما الكتب التي قدمتها لجلالته فهي رسالة التوحيد للاستاذ الامام وكتاب الوحدة الاسلامية وفيه محاورات المصلح والمقلد — وخلاصة السيرة المحمدية ، والدعوة الاسلامية — وكتاب الخلافة أو الامامة العظمى

هذا وإنه لولا [illegible] وكذلك جلالة الملكة زوجه مع سفورها الذي لم يجد له في مصر مجالا واسعاً مع محافظة جلالة ملكة مصر على الحجاب لما كان لأحد من أهل مصر أدنى انتقاد عليه ، ولكان السرور به عاما والثناء عليه غير مشوب بشيء إلا ما يقال همساً من عدم تبرعه بشيء من المال لشيء من الاعمال الخيرية كما هي عادة الملوك والامراء في أمثال هذه الزيارات ، وأخبار تبرعات جلالة ملك مصر في ممالك أوربة لا تزال ترن في الآذان ، وتلوح في آفاق الأذهان .

كانت تخيلات المفكرين عندنا تصور ملك البلاد التي أنبتت السيد جمال الدين بصور شتى ، فبعضهم يتصور أنه متوج بتاج قد كورت عليه عمامة خضراء كعمامة هارون الرشيد ، وبعضهم يخيل اليه أنه يزين مفرقه خوذة عليها عمامة مختصرة كخوذة صلاح الدين ، وأنه يلبس قباء خسروانياً ، ومعطفاً مزركشاً هندياً ، وأكثر الواقفين على حال العصر كانوا يعتقدون أنه يلبس الزي الافرنجي كملوك أوربا

وسلاطين آل عثمان الا أنه يختار بعمارة [1] شرقية غير الطربوش العثماني المصري كالقلبق الايراني أو غيره ، ولم يكن يلوح في خيال أحد أنه يضع على رأسه برنيطة عادية حتى رأوا ذلك بأعينهم حتى في زيارته لبعض المساجد الأثرية والمعاهد العامة

تأثير لبس ملك الافغان البرنيطة

انما يسيح صاحب الجلالة الافغانية في الارض بقصد الاختبار والاعتبار فما يجب أن يعلمه ويتلقاه بصدر واسع أن السواد الاعظم من علماء الاسلام وأهل الدين من سائر الطبقات قد امتعضوا من رؤية البرنيطة على هامته ، بل خشوا أن تكون أثرت في نفسه دعاية الترك الكاليين وأن يغلو غلوهم في حكومتهم اللادينية ويحذو مثالهم في مدنيتهم التقليدية ، أعاذه الله وشعبه من ذلك .

قد شرع الترك في تقليد الافرنج منذ قرن أو أكثر بتدريج بطيء ليكونوا مثلهم مع اتقاء خطر الطفرة في التحول والانقلاب لم يزدهم التقليد إلا وهنا على وهن. لذلك يقدر أهل الرأي والبصيرة [illegible] ستكون أشد خطراً على قومه وان أوهم [illegible] الدولة المهرمة يظهر فيها مثل هذا الانتعاش قبل موتها فيكون كانتعاش الذبالة (الفتيلة) في السراج قبل الخمود والانطفاء كما قال مؤسس علم الاجتماع حكيمنا العربي عبد الرحمن ابن خلدون .

وإننا نرى حكماء أوربة يسخرون من التقليد التركي الجديد الجلي ، والافغان أجدر بالحياة من الترك اذا راعوا في تجديد دولتهم ، جميع مقومات ملتهم .

وأما دعاة الغلو الالحادي في التفرنج من زنادقة المسلمين والملاحدة منهم ومن سائر الطوائف المقيمة في هذا القطر فقد ابتهجوا وانشرحت نفوسهم برؤية الملك الشرقي المسلم قد آثر البرنيطة الافرنجية على كل عمارة اسلامية أو شرقية ، وجددوا دعوتهم إلى إلقاء الطربوش واستبدال البرنيطة به اقتداء بالملك الشرقي العظيم الذي صرح بأنه لم يلبسها بقصد الاقتداء والتشبه بالافرنج ، بل لأنها قديمة العهد في بلاده ، ولعله يعني بذلك أن لا يدخل في عموم حديث عبدالله بن عمر (رض) عند أبي داود عن النبي ﷺ قال «من تشبه

(١) العمارة والعمرة بالفتح كل ما يوضع على الرأس من عمامة أو تاج أو غيرهما

بقوم فهو منهم» ورواه الطبراني في الاوسط من حديث حذيفة رضي الله عنه أيضا)

أول مارأيناه في تجديد الدعوة إلى لبس البرنيطة اقتداء بالملك أمان الله خان (بعد أن خفتت أصوات دعاتها زمانا ليس بقصير) مقالة نشرت في المقطم

وأول مانقوله في ذلك اننا نعلم أن دعاة البرنيطة لا يقصدون بالدعوة اليها الا جذب الناس إلى التفرنج بترك مشخصات أمتهم وقوميتهم كما يدعونهم الى ترك مقومات الامة المليةمن تشريع وآداب ولغة ودين بحجة أنها عتيقةبالية وان لذة الحياة بالجديد، وما التعلق بالجديد لأنه جديد إلا شأن الاطفال: يسرع اليهم الملل مما ألفوا، فيؤثرون مايعرفون كل يوم على ماكانوا عرفوا، وأما من بلغ أشده واستوى، وكملت فيه جميع القوى، فانه مهما يألف من المنازل فحنينه أبداً للمنزل الاول، ومهما ينقل فؤاده مع الهوى فلا يزال حبه الصادق للحبيب الاول، والملك يعدون الرابطة الوطنية من أقوى روابط الحضارة الانسانية حتى اسندوا إلى حكم النبوة قول بعضهم «حب الوطن من الايمان»، وعلماء الاجتماع يقولون إن الامة سليلة التاريخ القديم، لا وليدة العهد الجديد، فان مشخصات العلم والقديم ثابتة لا تحصل لها الا بتعدد الاجيال جيل الاقتباس، وجيل الحضرمة، وجيل الاستقلال

والحق الحقيق بالقبول أن كل انسان مركب من قديم موروث، وجديد مخلوق ومكسوب، وأنما يطلب المكسوب لحفظ الموروث وتكميله فهو تابع للمصلحة والمنفعة، واننا نرى أقوى الامم وأعزها هي الشديدة المحافظة على القديم والتروي في الجديد كالاسرائيليين والسكسونيين، فما لهؤلاء الاحداث المتفرنجين يشون في هذه الامة الدعاية إلى تحقير كل قديم، والترغيب في كل جديد حتى مايكره كل عقل سليم، كتهتك النساء والاسراف في الزينة والشهوات وتقطيع ما لأممهم من روابط وصلات، حتى المقومات والمشخصات

يريد ناشر الدعوة إلى البرنيطة اليوم أن يخدع الشعب المصري بالاقتداء بهذا الملك العظيم ملك الافغان، فان كان هذا الشعب ينتظر ملكا شرقيا يقتدي به في مثل هذا فأقرب الملوك اليه ملكه وممثل حكومته فهو أحق من غيره بالاتباع في هذه الحالة التي عدوها من أحوال التنازع بين القديم والجديد، فجلالته شديد المحافظة على

زي قومه وحكومته الرسمي، وجلالة ملك الافغان قد اعتذر عن لبس البرنيطة بعذر إن صدق عليه فانه لا يصدق علينا في مصر وأمثالها من الاقطار كسورية التي سرى سم التفرنج التقليدي إلى بعض شبانها المغرورين وقد قلت في مطلع قصيدة نظمتها في عهد طلب العلم بينت فيها مضار هذه التقاليد الصورية وأهمها تفريق وحدة الامة

ليس التمدن تقليد الاوربي فيما انتحاه من العادات والزي
ان المقلد لا ينفك مرتبكاً في الضعف يخبط في ليل دجوجي
بل التمدن ملزوم التقدم مد عاة الرفاهة منفاة الألاقي
روح شريف به تحيا الشعوب بما يبث فيها من العلم الحقيقي
حتى ترى كثرة الافراد راجعة لوحدة والفرادى كالاثاني

بل جلالة ملك مصر وجلالة ملكتها حجة على كل هؤلاء الجناة على روابط ملتهم ووحدة أمتهم وخير قدوة في موضوع القديم والجديد التي أخذنا بها. ذلك أنهما على كونهما في أعلى درجات الحضارة والرفاهة المصرية محافظان كل المحافظة على شرف الملة والامة وآدابها ومشخصاتها، فجلالة الملك يتنزه عن شرب المسكرات في المآدب الملكية والمواقف الرسمية كما يتنزه عنها في قصره الأولية وبين ربه، حتى إنه لم يبح لنفسه أن يحسو منها حسوة بالتبادل مع أعظم ملوك العالم فيما يسمونه شرب الأنخاب الودية

بل نقل الينا من أخبار رحلته الاوربية في الصيف الماضي أنه اشترط فيما دعي اليه من مآدب الملوك ورؤساء الحكومات ووزرائها أن لا يكون على الموائد شيء من لحم الخنزير. وقد كان نقل الينا مثل هذا عن المرحوم الأمير حبيب الله خان والجلالة الملك أمان الله خان، عندما زار لندن عاصمة الانكليز، بل قيل انه اشترط في حضور مائدة الملكة فيكتوريا أن لا يكون عليها خمر ولا شيء من صحاف الذهب والفضة وكؤوسها.

وأما جلالة ملكتنا فأبت عليها وعلى جلالة الملك الآداب الاسلامية والتقاليد القومية أن تظهر في أوربة سافرة الوجه أو أن تحضر الاحتفالات والمآدب الرسمية او غير الرسمية التي يجتمع فيها النساء والرجال بالأزياء الرسمية المعهودة في هذا العصر وهي مما لا يبيحه الاسلام،

فشكراً لملكنا وملكتنا على هذا منا ومن العالم الاسلامي كله،

جمعية الشبان المسلمين

أحمد الله تعالى أن وفق المسلمين في مصر الى تأليف هذه الجمعية التي يرجى أن تكون على تأخرها عن أخوات لها في بلاد أخرى هي الرأس لمن وهن أعضاؤها، وأن تكون مصر هي الدوحة الباسقة لمن وهن فروعها، ولم يسرني تأليف جمعية بعد جماعة الدعوة والارشاد كتأليف هذه الجمعية التي طال تفكري في شدة حاجة المسلمين اليها وتحدثي مع أهل الرأي في السعي لها، وقد مكثت سنين أبحث عن تاريخها وتطورها وتعاليمها السرية ، وعز علي أن أختار طائفة تنهض بتأسيسها ثم تقوم بأعبائها ، وكلفت الاستاذ توفيق دياب الخطيب المشهور في أيام الحرب الكبرى أن يحقق لي المأمول هل يمكن لنا تأليف جمعية المسلمين كجمعية الشبان المسيحيين مع مراعاة قانونها في اجتناب السياسة أم [illegible] السلطة العسكرية في ذلك ؟ ثم علمت منه ومن غيره عدم الامكان في ذلك الزمان ، على انني لم أعتقد بعد عودة الحرية الى البلاد [illegible] ، ويستقلون بهذا الحمل الثقيل. ولكن قيد أجله فلما استيقظت البلاد وتطورها له ظهر ظهوراً طبيعياً بتداعي بعض شباب المدارس العليا اليه، وهم أحق وأولى وأجدر به فلما تم تكوين أعضاء الجنين ظهر له الرأس الطبيعي القمين بتدبيره وما كان كذلك طبيعيا فهو الذي يحيا حياة طبيعية . فتأسست الجمعية ولله الحمد ، وتأسس مجلس ادارتها ولله الحمد، ووضع لها القانون وهذا نصه ولله الحمد :

القانون الاساسى لجمعية الشبان المسلمين

﴿ الباب الاول ﴾

(في تأليف الجمعية ومقاصدها)

[المادة الاولى] تألفت في القاهرة عام ١٣٤٦ من هجرة الرسول عليه الصلاة والسلام (١٩٣٧ من ميلاد المسيح عليه الصلاة والسلام) جمعية تسمى « جمعية الشبان المسلمين »

[المادة الثانية] لاتتعرض هذه الجمعية لشئون السياسة بأي حال

[المادة الثالثة] تنحصر أغراض الجمعية فيا يأتي :

١ — بث الآداب الاسلامية والاخلاق الفاضلة

٢ — السعي لانارة الافكار بالمعارف على طريقة تناسب روح العصر

٣ — العمل لازالة الاختلاف أو الجفاء بين الطوائف والفرق الاسلامية

٤ — الاخذ من حضارتي الشرق والغرب بمحاسنهما جميعاً ، وترك مافيهما من مساوي.

[المادة الرابعة] تتوسل الجمعية إلى هذه الاغراض بالطرق الادبية : فتنشيء ناديا لالقاء محاضرات أدبية علمية اجتماعية ، وتنشر ماتدعو المصلحة إلى نشره بأي لغة تمس الحاجة إلى استعمالها

(الباب الثاني في أعضاء الجمعية)

[المادة الخامسة] تتألف الجمعية من أعضاء عاملين وأعضاء مؤازرين ، فالعضو العامل هو [illegible] قيمة الاشتراك وهو عشرة قروش شهريا ، والعضو المؤازر هو [illegible] الجمعية [illegible] أدبيا أو يعينها ماليا ويرجع تقرير عضويته إلى تقدير مجلس الادارة

[المادة السادسة] يشترط في العضو العامل أن يكون مسلما حسن السيرة طيب السمعة ، وألا يكون معروفا بنزعة تخالف أصل العقيدة الاسلامية

[المادة السابعة] يجب فيمن يطلب الانضمام إلى الجمعية أن يزكيه اثنان على الاقل من أعضائها

(الباب الثالث في الجمعية العمومية)

[المادة الثامنة] تتألف الجمعية العمومية من جملة الاعضاء العاملين وتنعقد خلال الاسبوع الثاني من شهر رمضان في كل عام ، أو في غير هذا الميعاد اذا اقتضت الحال انعقادها

[المادة التاسعة] تكون قرارات الجمعية العمومية صحيحة نافذة اذا تكامل في أول اجتماع لها — بعد دعوتها اليه — ثلثا الاعضاء ، فاذا لم يتكامل هذا

العدد تأجل انعقادها أسبوعين . وعلى رئيس مجلس الادارة أن يجدد الدعوة الى هذا الاجتماع الثاني قبل ميعاده بأسبوع على الاقل ، وحينئذ تكون كل قراراتها صحيحة نافذة مهما كان عدد الحاضرين من الاعضاء

[المادة العاشرة] اذا طرأ في المدة الواقعة بين آخر انعقاد للجمعية والانعقاد الذي يليه شيء يدعو إلى عقد الجمعية العمومية بصفة غير عادية وجب أن تنعقد في الموعد الذي تحدده الدعوة إلى ذلك ، وتجري عليها حينئذ أحكام المادة التاسعة فيما يختص بانعقادها وقراراتها

[المادة الحادية عشرة] اذا اتفق خمس أعضاء الجمعية العمومية على دعوتها إلى انعقاد غير عادي ، ووجهوا الدعوة من أجل ذلك إلى مجلس الادارة ، كانت دعوتهم قانونية ، وكانت تلبيتها واجبة . ومثل ذلك أن يقرر هذا الانعقاد مجلس الادارة بأكثرية ثلثي أعضائه



﴿ الباب الرابع ﴾

(في مجلس الادارة)

[المادة الثانية عشرة] يتألف مجلس الادارة من اثني عشر عضواً تنتخبهم الجمعية العمومية من أعضائها بالاقتراع السري لادارة شئون الجمعية مدة سنتين وفي نهاية السنة الاولى لانتخاب هؤلاء الاعضاء الاثنى عشر يقترع المجلس سريا لاسقاط نصفهم وتكمل الجمعية العمومية — بطريق الانتخاب — عدد أعضاء مجلس الادارة بالانتخاب ، وهلم جراً في كل عام . أما رئيس المجلس ووكيل الرئيس وكاتب السر العام وأمين الصندوق فتختارهم الجمعية من أعضاء المجلس

(المادة الثالثة عشرة) يختص المجلس بالادارة العامة ويكون مسئولا عنها وعن تنفيذ أحكام القانون ونظام الجمعية ، وعليه أن يفكر فيما يرقى بالجمعية ويحقق مقاصدها ويتسع به نطاقها

(المادة الرابعة عشرة) يكون انعقاد مجلس الادارة قانونياً اذا حضر سبعة من أعضائه ، وتكون قرارات مجلس الادارة قانونية متى صدرت من الاكثرية

المطلقة وهي مازيد على النصف بصوت واحد ، واذا تساوت الاصوات ترجح الجانب الذي يكون الرئيس معه

(المادة الخامسة عشرة) اذا تخلف أحد أعضاء مجلس الادارة عن حضور جلساته ثلاث مرات متوالية بدون عذر صحيح كتب اليه المجلس في ذلك ، فان لم يحضر الجلسة الرابعة بعد وصول الكتاب اليه عد مستقيلا عن عضوية مجلس الادارة

(المادة السادسة عشرة) اذا خلا مكان أحد أعضاء مجلس الادارة يحل محله العضو الذي حاز أكثرية الاصوات في الجمعية العمومية بعد أعضاء المجلس فان لم يتيسر هذا ندب مجلس الادارة من أعضائه العاملين من يحل محله إلى أن تعقد الجمعية العمومية فتنتخب من تشاء

(المادة السابعة عشرة) على مجلس الادارة أن يقدم للجمعية العمومية تقريراً سنويا ببيان أعمال الجمعية وميزانيتها من إيرادات ومصروفات

[illegible] مالية الجمعية

(المادة الثامنة عشرة) تتكون مالية الجمعية من الاشتراكات التي يدفعها الاعضاء العاملون . ومن اعانات أهل الغيرة والخير من الاعضاء أوغيرهم .ومن ريع المطبوعات التي تصدرها الجمعية ، ولمجلس الادارة أن يوسع موارد الجمعية بالطرق الشريفة المشروعة متى كانت متفقة مع روح الجمعية وغير منافية لاغراضها

(المادة التاسعة عشرة) مجلس الادارة مسئول عن مالية الجمعية وعليه أن يودع أموالها باسمها أمانة في مصرف يختاره . ويجوز أن يبقي المجلس في عهدة أمين الصندوق عشرين جنيهاً ينفق منها لحاجة الجمعية

(المادة العشرون) لأمين الصندوق بالاشتراك مع رئيس مجلس الادارة أن يتصرف من مالية الجمعية في مبلغ لا يزيد على عشرة جنيهات عند الضرورة ، وعليه أن يقدم حسابها لمجلس الادارة في أول اجتماع له

(المادة الحادية والعشرون) لا يصح أن يسحب شيء من أموال الجمعية من المصرف المعين إلا بقرار قانوني من مجلس الادارة وتوقيع الرئيس وأمين الصندوق

﴿ أحكام عامة ﴾

(المادة الثانية والعشرون) على مجلس الادارة أن يضع لائحة داخلية للجمعية تتضمن تفصيل ما أجمله القانون من أحكامه ، وتأليف لجان من الاعضاء العاملين يكون اختصاصها تحقيق أغراض الجمعية في وجوهها المختلفة ، وتحديد واجبات الاعضاء الادبية وما يتبع ذلك من أحكام تأديبية تختص بما يقع من الاعضاء من مخالفة هذا القانون أو الخروج على الجمعية أو العمل ضد مقاصدها ، وتعرض هذه اللائحة على الجمعية العمومية للنظر فيها ثم اقرارها

(المادة الثالثة والعشرون) للجمعية أن تنشيء فروعاً داخلية في القطر المصري وشعباً في الاقطار الاخرى ، وتتكفل اللائحة الداخلية بتحديد الصلة بين المركز وهذه الشعب والفروع

(المادة الرابعة والعشرون) لا يجوز بحال من الاحوال تعديل شيء من مواد هذا القانون الا اذا اقترح ذلك ثلاثة أعضاء مجلس الادارة أو خمس أعضاء الجمعية العمومية ، وبعد ثلاثة أشهر على الاقل من عرض مشروع التعديل على الجمعية العمومية لتقبله أو ترفضه بأكثرية ثلثي أعضائها الحاضرين

(المادة الخامسة والعشرون) لا يصح تغيير المادة الاولى والمادة الثالثة والمادة السادسة من هذا القانون بأي حال

[المنار] في بعض مواد هذا القانون إجمال من جهة وتحديد من جهة أخرى سيدعو الاختبار الى تلافيهما على ان تنفيذه مع ذلك خير وبركة وسيكون أول فوائده صد سيل الالحاد الآتي دون جرف عقائد الأمة وآدابها بدعاية التجديد العمياء الصماء ، ومناط الرجاء في التنفيذ أعضاء مجلس الادارة الجامعون بين العلم بالحاجة ، وعلو الهمة في العمل ، فرئيسهم عبد الحميد بك سعيد ، والوكيل الاستاذ الشيخ عبد العزيز جاويش ، وأمين الصندوق الاستاذ أحمد باشا تيمور ، وأمين السر الاستاذ محب الدين الخطيب ، فهم لعمري أولو كفاءة وكفاية ، وجد وعناية تغني شهرتهم عن الثناء عليهم ، وفقهم الله تعالى وسائر أعضاء الادارة ومساعديهم المصلحين ، وخذل معارضيهم من الملاحدة والضالين والمفسدين ، آمين

أنباء العالم الإسلامي

وفيات الاعيان

توفي في هذه الفترة — فترة تعطيل المنار السنوي — ثلاثة رجال من الممتازين في اشخاصهم وبيوتهم: أمين بك الرافعي صاحب جريدة الاخبار بمصر والامير شيب ارسلان في (لبنان ـ سورية) والحكيم محمد أجمل خان في الهند ولكل منهم مقام معلوم ، وحق من الفضل مشاع أو مقسوم ، وعمل في خدمة الامة ظاهر او مكتوم ، فعلى الامة شكر ما ظهر ، ولا يخفى على الله شيء مما بطن ، والله شكور حليم

(أمين بك الرافعي الفاروقي) هو ابن الشيخ عبد اللطيف الرافعي الفقيه مفتي الاسكندرية في آخر عهدها وبيت الرافعي [illegible] العلم في مصر وسورية على الاطلاق ووطنهم الاصلي طرابلس الشام وتخرج [illegible] كثر علمائهم في الأزهر ونيطت بهم الوظائف الشرعية في [illegible] الشيخ عبد القادر الملقب بالرافعي الكبير إفتاء الديار المصرية في آخر [illegible] الاستاذ الامام وهم ينتسبون إلى الخليفة الثاني الامام العادل الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه

وقد عني الشيخ عبد اللطيف رحمه الله تعالى بولديه امينا وعبد الرحمن في المدارس المصرية حتى تخرجا في مدرسة الحقوق ونالا شهادتها (الليسانس) واختارا الاشتغال بالمحاماة الحرة على خدمة الحكومة لميلهما إلى السياسة، وقد انتسبا كلاهما إلى الحزب الوطني فكانا من أركانه العاملين المتحمسين المخلصين، واشتغل أمين بالتحرير في جرائد الحزب من اللواء والعلم والشعب فكان خير محرريها بل خير محرري الصحف في هذا القطر علما وبيانا واخلاصا وثباتا واستقامة ، ثم انفرد بادارة جريدة الاخبار ورياسة تحريرها فكان إماما مستقلا تام الاستقلال في كل ما يعتقد انه الاصلح للامة والملة والوطن لا يتقيد بقرار الحزب الوطني ولا غيره على كونه أشد أعضاء هذا الحزب استمساكا بمقاصده وغاياته وهي استقلال مصر والسودان التام المطلق من كل قيد، وعدم الاعتراف للمحتلين فيهما بأدنى حق ، والسعي لاخراجهم منها بحقي حنين.

وكانت تربية أمين وأخيه الاسلامية على كمالها اللائق ببيته ونسبه لم يؤثر

التعليم المصري تحت مراقبة الاحتلال في أقصها أدنى تأثير في زلزال العقيدة أو فساد الأخلاق أو تخل بأداء الفرائض أو يفتن الشباب باقتراف الشهوات المحرمة، وناهيك بتربية دينية تحفظ على مثل هذين الشابين الموسرين الجميلي الصورة عفتهما وصيانتهما في بلد كمصر في حرية الفسق وانتشاره

وقع بيني وبين أمين من التلاقي والمخالطة في السنين الأخيرة ما لم يكن من قبل فعلمت منه بالاختبار المحافظة على الصلوات وتلاوة القرآن للتعبد والاهتداء، وليس في سعي الانسان عمل أقوى من هذين العملين في ملكة التقوى في القلب وما للتقوى من حسن الأثر في عزة النفس وشرفها وشجاعتها وعزوفها عن الدنايا والمطامع والشهوات السافلة . (إن الانسان خلق هلوعا * إذا مسه الشر جزوعا * وإذا مسه الخير منوعا * إلا المصلين * الذين هم على صلاتهم دائمون) الخ

لهذا كان أمين ممن قال الله تعالى فيهم (يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم) وكان من اركان حزب [illegible] الجهاد وقواده وان تراءى في صورة الجندي المتاد بتواضعه وتأبيه عن الشهرة عوضاً عن [illegible] وزهده في الزعامة والرياسة التي يعمل الكثيرون لها ويتخذون لها الوسيلة [illegible] وغيرها . على ان هذا الجهاد الشريف لمصلحة الملة والأمة والوطن لم يوجد له حزب ولو وجدت لعرفت ان أميناً من قوادها وأركان حربها وأعطاه حقه من قيادتها وزعامتها

بل أقول ان أمينا الرافعي كان من طبقة الشهداء الذين هم حجة الله على متبعي الهوى والباطل في هذا الزمن باستقامته والتزامه الحق الذي يعتقده ودعوته اليه وجهاده في الدفاع عنه، لا يثنيه عن ذلك خوف إيذاء قوي ولا الطمع في منافع ذي سلطان، وحجة على الذين يزعمون ان ما يسمونه الوطنية معارض للاستمساك بعروة الرابطة الدينية، فقد كان أقوى أركان الوطنية في هذه البلاد لا من أفواهها، وكان مع ذلك مستمسكا بعروة الاسلام الوثقى التي لا انفصام لها إيمانا وعملا ودفاعا ، لم يتهمه قبطي ولا انكليزي ولا يهودي بأنه من المتعصبين الذين تحملهم عصبية دينهم على هضم حق أي وطني في بلادهم المخالفة له

وهو حجة أيضا على زنادقة المسلمين ودعاة الالحاد فيهم سواء منهم الذين يدعون اليه وما يستلزمه من الاباحة بالصراحة ، والذين يدعون اليه بحجة تجديد شباب الامة، وهدم كل ما للأمة من بنيان وتاريخ.. فانه لا يوجد فيهم أحد يدعي انه عرف من شؤون العصر وعلومه ونظمه وقوانينه المثبتة للحاجة إلى التجديد

ما لم يعرفه أمين فيتهاميًا بانه متعصب بالدين لجهله بان الدين الاسلامي ينافي ما يحتاج اليه أهله في العصر من علوم وفنون ونظام. لذلك ترى الجرائد على اختلاف منازعها ومشاربها وعلى وجود الزنادقة وغير المسلمين في محرريها قد أجمعت بعد وفاة أمين على اطرائه بأعلى الاخلاق والصفات الوطنية العلياء مع البر والتقوى.

نعم إنهم لم يصرحوا بان سبب هذه الفضائل كلها هو هداية الاسلام ، وتأثير تلاوة القرآن ، والمحافظة على الصلوات ، فرحمه الله ورحم احمد مختار باشا الغازي الذي كان يقول ان الصلاة هي « وليس المسلمين » المانع لهم من ارتكاب الفواحش والمنكرات ولكن مركزه في الباطن لا في الظاهر. اهـ وليست فائدة الصلاة محصورة في التخلية والمعنى السلبي المعبر عنه بقوله تعالى (وأقم الصلاة ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر) بل هي تعين مقيمها بالخشوع والحضور على جميع معالي الامور كما قال تعالى (واستعينوا بالصبر والصلاة وانها لكبيرة إلا على الخاشعين) وكما علم من آيات (إن الانسان خلق هلوعا) الخ وقد ذكرت آنفا

مات أمين الرافعي فاهتز القطر المصري لموته هزة عنيفة بل زلزل زلزالا شديدا وأجمعت الهيئات الدينية والسياسية والحكومية [illegible] والوطنية والصحفية على تشييع جنازته، والاختلاف إلى مأتمه، وإنشاء المقالات الحافلة والقصائد الطنانة في تأبينه ورثائه ، وتبيين فضائله ومناقبه ، على انه كان صاعقة شديدة على بعض هذه الهيئات السياسية والالحادية ، وحسب المنار التذكير بهذه الكلمات من سيرته الحميدة ، وقد ترجمه وسيترجمه كثيرون من سائر نواحي فضائله ، رحمه الله تعالى رحمة واسعة ووفق محرري جريدة الاخبار للثبات على طريقته في الدفاع عن الدين وفضائله والتنفير عن الالحاد ورذائله . والمحافظة على الوطن وحقوقه

(الامير نسيب ارسلان) هو من خيرة أمراء هذا البيت الكريم — امراء ارسلان — تهذيبا وعلما وأدبا ، كان رحمه الله تعالى ركنا من أركان النهضة العربية الجديدة وشاعراً من أبلغ شعرائها وخطيبا من مصاقع خطبائها وحسبك أنه ثالث القمرين للاميرين الشهيرين شقيقه الامير شكيب والامير عادل ، وان لم يشتهر في مصر والبلاد غير العربية كشهرتهما لانه لم يتح له من السياحة في الارض ما اتيح لهما بل قضت عليه شؤون الاسرة البيتية أن يظل في وطنه كما أشرت الى ذلك في تعزيتي عنه لآله وأسرته خطابا لاخي الكريم ، وولي الحميم ، الامير أبي غالب شكيب ، وهذا نصها :

من محمد رشيد رضا الى أخيه الامير شكيب أرسلان

أطال الله تعالى بقاء أمير البيان ، وعماد بيت أمراء أرسلان ، وأحسن عزاءه وعزاءنا به عن شقيقه الامير نسيب ، الكاتب الاديب ، والشاعر الخطيب ، والكافل لخدمة أم الامراء في الوطن ، وقد طوحت بأخويه طوائح الزمن ؛ وأطال له ولنا بقاء شقيقه الامير عادل ، رب السيف والقلم ، ورافع الراية والعلم ، خواض الغمرات ، ومقتنص الطيارات ، قائد الكماة الأباة في ميادين الجهاد ، والحماة الرماة في مواطن الجلاد ، وأبقى الله فيها بقيل من عهده ، وللامة في مستقبلها البعيد من بعده فرعه النجيب ، وغصن دوحته الرطيب (الامير غالب) بحسن تأديبه وتربيته ، وتم تثقيفه وتنشئته ، فهم منعا ولنا منهم خير عزاء وسلوة ، وفيما فقدنا وفقدوا من السلف والخلف أحسن اسوة

ولأنت أيها الامير بعلمك وعقلك ، وكبر نفسك وعلو همتك ، وما ينشب في قلبك من حب وطنك ، وما نيط بعنقك من حقوق أمتك ؛ لأجدر بالصبر عن أخيك من الخنساء [illegible] بالتمثل بقولها :

ولولا كثرة الباكين حولي … على إخوانهم لقتلت نفسي
وما يكون مثل أخي ولكن … أعزي النفس عنه بالتأسي

فأطال الله بقاءك لأمتك العربية المظلومة ، ولملتك الاسلامية المهضومة ، ولوطنك السوري المجتاح ، فكل منهن محتاج الى علمك وبيانك ، والى قلمك ولسانك ، وأطال الله حياتك لأمراء آل أرسلان ، تجدد من مجدهم ما أخلقه الزمان ، وأعاده طور جديد ، وأسلوب طريف لفضل تليد ، جمعت به بين قلم ابن خلدون ومقول سحبان ، في حكمة علي بألسنة العرب والترك والفرنسيس والالمان ، أقابس هذا مجد يدأ لأدب أجدادك الذين قال فيهم اليازجي الكبير شاعر لبنان :

شبانهم مثل الشيوخ نباهة … وشيوخهم في البأس كالشبان
ويخاطبون بكل فن أهله … فكأن واحدهم بألف لسان

بلى ، فهذا هو المجد ، لا ما يكذب دعيه فيه الأب والجد ، وهذه هي الزعامة والامارة ، لا الألقاب المزورة والمستعارة ، فاصبر فان مصابك بالحالة على وطنك وأمتك ، أوجع من مصابك بابن أبيك وأمك ، (واصبر وما صبرك إلا بالله ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون . إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون)

(الحكيم محمد اجمل خان مسيح الملك) هو من أكبر بيوتات المجد القديم المسلسل الذي لم ينقطع يتصل نسبه بملا علي القاري المحدث الفقيه المشهور كما أخبرني بلسانه. ومن آثار هذا المجد الموروثة خزانة كتبه المشتملة على نفائس المخطوطات في العلوم المختلفة من شرعية ولغوية وطبية وفنية باللغتين العربية والفارسية المكتوب بعضها على ورق الحرير بالخط الفارسي أو النسخي الجميل الذي يستحق كل سطر منه أن يكون زينة تحلى بها جدران القصور وأندية العلم والأدب

انتهت إلى هذا الحكيم الزعامة الطبية والاجتماعية والسياسية في مسلمي الهند وكان من أبرع الأطباء على الطريقة العربية اليونانية مع إلمام بالطب الأوربي العصري يجمع به أحيانا بين الطبين في بعض صفات الأمراض ومشخصاتها وبعض المؤثرات في الأدوية لها ، وكان أمراء الهند في الممالك الهندية المستقلة يعتمدون على طبه ويدعونه لمهمات الأمور وداره في دهلي عاصمة الدولة تدعى « بيت الحكمة » وفيها يحيون الطب القديم كما كان على عهد آبائه وأجداده الذين لقب كثير منهم بلقب الحكيم

وقد كان رحمه الله تعالى من أصحاب الرأي والبصيرة في الأمور العامة وتولى رياسة جمعية الخلافة وانعقد بعض المؤتمرات الهندية العامة تحت رياسته وكان من رأيه وجوب الاتفاق بين المسلمين والهندوس في الأمور الوطنية من سياسية واقتصادية وغيرها وكان الزعيم أكرم الله مثواه صديقي ولما زرت مدينة دهلي في أثناء سياحتي الهندية في أوائل جمادى الآخرة سنة ١٣٣٠ الموافق أواخر مارس سنة ١٩١٢ دعاني إلى النزول في داره العامرة وألح علي في ذلك فاعتذرت بأني إنما لم أعلمه وقت مجيئي إلى دهلي وسبق نزلت في إحدى فنادقها الكبرى في ضواحيها المحلوبة بين الحدائق والبساتين في هذا الفصل الجميل (فصل الربيع) لأجد بعض الراحة فيها من كثرة الزائرين ، ولا يتيسر هذا مع النزول بداره القديمة في البلد وهي مأوى طلاب العلم والطب ومنتجع الزائرين ، فاكتفى مني بقبول دعوة خاصة ودعوة عامة دعا إليها جمهورا عظيما من العلماء والكبراء، وقدم لي سيارته لركوبها في زيارتي للمعاهد العامرة والأثرية في البلد وضواحيها جزاه الله تعالى أحسن الجزاء.

وجملة القول ان الهند قد خسرت بفقده أعظم زعمائها المحنكين علما وحكمة وسياسة وإخلاصا فنعزي عنه الأمة كلها ونخص ولده الكبير المهذب جعله الله خير خلف لخير سلف . آمين

باب الانتقاد على المنار

كتب الي الشيخ عبد الظاهر الامام في المسجد الحرام يقول ان بعض الاخوان انكر على تفسيري الهم في سورة يوسف عليه السلام بما خالف اجماع المفسرين وخاصة شيخهم ابن جرير، وانه هو اي الكاتب وافقهم على ذلك

وجوابه ان المفسرين اختلفوا في تفسير الآية فلم يجمعوا على قول وان إجماعهم ليس بحجة ولا يمكن العلم به ان أمكن وقوعه ووقع ، والامام احمد يحتج باجماع الصحابة ان علم ويتق ماسواه . وان الذي قلته أنا منقول عن بعض المفسرين في يوسف عليه السلام وهو انه هم بضرب امرأة العزيز ، وظاهر أنها هي أولى بارادة هذا لان الانسان انما يهم بعمل مايقدر عليه وهي تقدر على ضربه والضرب معتاد من السيدة لفتاها ولا سيما إذا أهانها بمثل الاهانة التي أهان بها يوسف مولاته إذ راودته عن نفسها فاستعصم وهذا معهود في كل زمن ، وأما الفاحشة فهي لا تقدر عليها وحدها وهو قد استعصم منها عقب المراودة ولم يجنح إلى القبول ، وأما تكون المرأة في حال التراضي مراودة لا مستعصية ، واستعمال هم فلان في معنى هم بقتله أو ضربه وارد وله شواهد في الآثار الصحيحة لان الهم يتعلق بفعل لا بجثة ويفسر الفعل بالقرائن فاذا قيل ان فلانا فعل كذا من المنكر فهم به عمر مثلا فالمعنى الذي تقتضيه القرينة انه هم بتأديبه بالقتل أو مادونه كالضرب ولو بالدرة.

وقد رأى جمهور المفسرين ان القرينة في قصة يوسف تقتضي أن يكون متعلق الهم المشترك بينه وبين سيدته هو الفحشاء وهذا إنما كان يترجح على إغماض في تسمية قبولها هما لو كانت الداعية عندهما واحدة ولكن الامر لم يكن كذلك بدليل عدة آيات من السورة فتعين ترجيح تفسير الهم بالضرب والايذاء منها كما هو المعهود من الطباع في مثل هذه الحال في كل زمان : همت بضربه وهم بالدفاع عن نفسه أولا كما هو حق من صال عليه غيره ، فرأى من برهان ربه ما حمله على الفرار فاستبقا الباب الخ

والدليل على هذا من القصة المنزلة أمور (١) انها لما ألفيا العزيز لدى الباب شكت اليه فتاها بقولها (ما جزاء من أراد بأهلك سوءا) الخ واللائق بمعنى السوء هنا التعدي والاهانة بالضرب ونحوه لان معناه في اللغة ما يسوء فاعله أو الموجه اليه من قول أو عمل فهو يطلق حتى على المكروه وصغائر المعاصي (٢) انها لم تكن تتهم يوسف بارادة الفحشاء بدليل قوله تعالى حكاية عنها (ولقد راودته عن

نفسه فاستعصم) ثم قوله تعالى في آخر قصتها حكاية عنها (الآن حصحص الحق) الخ فترجح انها لم ترد بكلمة السوء لزوجها إلا التعدي (٣) انه عليه السلام كان عرضة لامرين الفحشاء التي دعته اليها بالقول الصريح ، والسوء الذي كادت تلجئه اليه بأمر بضربه وقد صرفهما الله عنه كما قال (كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء) ومثل هذا قوله تعالى (إنما يأمركم بالسوء والفحشاء)

ويؤيد ذلك من المعقول ان المرأة بعد أن تفتح باب التهمة لزوجها على نفسها فلما اتهمته بإرادة السوء بها دافع عن نفسه وصرح بانها راودته عن نفسه أي فامتنع حتى همت بالانتقام منه ، فانكرت بالطبع ، فشهد الشاهد من أهلها بما دل على صدقه وكذبها ، ثم اعترفت بمراودتها هي له مرتين : مرة للنساء وشهدت له فيها بأنه استمسك بعروة العصمة — ومرة للرجال لما ارسل الملك من سأل النساء عن سبب مراودتهن له عليه السلام هل كانت عن إغوائه الميل اليهن (فقلن حاش لله ما علمنا عليه من سوء) اي ادنى ميل منه بدليل النكرة المنفية المؤكد عمومها بكلمة « من » (قالت امرأة العزيز حينئذ (الآن حصحص الحق أنا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين)

وأما مخالفة ابن جرير فلا ينكر مثلها على احد من الناس ممن يعرف أصول هذا الدين فمن المعلوم من الدين بالضرورة ان فهم ابن جرير ليس أصلا من أصول الدين ولا حجة من حججه ولم يوجد عالم من علماء المسلمين قال بوجوب اتباعه أو التزم اتباعه بالفعل تديناً وما من مفسر الا وقد خالفه في بعض آرائه وهو نفسه قد خالف في التفسير بعض مارواه عن الصحابة وهم أعلم منه وصرح بانه لا يحتج بقول أحد بعينه في تفسير آية الا رسول الله (ص)

وانتقد الشيخ عبد القاهر أيضا إيراد المثنى المجرور بالالف في ص ٤٦٩ ج ٦ م ٢٨ من المنار وسأل عن إعرابه — وجوابه انه كتب او جمع كذلك في المطبعة هكذا سهواً في الغالب وهو مع هذا ليس خطأ فان لغة استعمال المثنى بالالف في أحوال إعرابه الثلاثة مشهورة وهي لغة فصيحة حملوا عليها قوله تعالى (ان هذان لساحران) من سورة طه على قراءة تشديد إن . فليراجع المنتقد تفسيرها في كتب التفسير التي تعنى بالاعراب أو في المغني لابن هشام أو ما شاء من كتب النحو . وينبغي لمن ينتقد الاعراب أن يكون عارفاً بضروريات النحو على الاقل

﴿ خاتمة المجلد الثامن والعشرين من المنار ﴾

بسم الله وبحمده ختم المجلد الثامن والعشرين كما افتتحناه بهما ، ونصلي ونسلم على خاتم النبيين ، من أكمل الله برسالته الدين ، محمد النبي الأمي العربي الذي بعثه الله رحمة للعالمين ، وآله وصحبه الهادين المهديين ، ومن اتبع هديه الذي بلغه وبلغوه عنه بالقول والعمل إلى يوم الدين .

أما بعد فإننا قد زادت أعمالنا في هذه السنة بما حدث من الخلاف في اللجنة التنفيذية للمؤتمر السوري الفلسطيني التي كانت تقوم بأعمالها في خدمة الوطن بالنظام التام ـ وبكثرة المطبوعات لدينا بعد تجديد مطبعتنا وإدارتها بالكهرباء ، وتوسيع أعمال مكتبتنا وتنظيمها ، فأما اللجنة التنفيذية لمؤتمر السوري الفلسطيني فقد علم الخاص والعام أن سبب الخلاف الذي حدث فيها هو ما ظهر من محاولة أولاد لطف الله استغلال القضية السورية وثورتها والزلف [illegible] لجعل أحدهم أميراً للبنان الكبير والتوسل إلى ذلك بما يدعونه من خضوع جميع المعارضين للانتداب للجنة التنفيذية وكون [illegible] لطف الله وقد رأت اللجنة أنه لا علاج لذلك [illegible] بالعمل وأقف الرئيس السابق [illegible] حزبا موجودا ولا يثق بها حزب من تلك الأحزاب بل زالت ثقة جماهير الوطنيين به وبمن جرأه على الشقاق والانفصال من أعضاء اللجنة وصار أعضاء اللجنة الحقيقية الممثلة للأحزاب والزعماء في سورية وفلسطين على رأي واحد وشعور واحد ولكن بعد الاشتغال عن كل عمل بمفاوضات الصلح على أساس عودة ميشيل بك لطف الله إلى الرياسة كما كان فلم يمكن ذلك

وأما إدارة المجلة والمطبعة والمكتبة فقد انتظمت في سلك واحد وصار لدينا سعة في الوقت نعود إلى العناية بالمنار والتفسير الذي طالبنا به عامة الأمة من جميع الأقطار . ولم يبق إلا أن يؤدي لنا قراء المنار قيمة الاشتراك في أوقاتها وستقاضي الإدارة الجديدة المماطلين المسوفين في هذا القطر لدى المحاكم إن لم يؤدوا ما عليهم من الحقوق من تلقاء أنفسهم

وإننا نطالب أهل العلم والرأي بأن يكتبوا إلينا بكل ما يرونه في المنار مخالفا للحق أو منافيا لمصلحة الأمة مؤيدا بالدليل ومراعى فيه الاختصار (والله يقول الحق وهو يهدي السبيل) وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين

منشئ المنار
محمد رشيد رضا